

وعلى طريق الدعوة ... نحتاج الى زاد

(كل مسافر فى طريق ما لابد له من التزود بكل ما يحتاجه على طريقه، بما يهيىء له أسباب مواصلة السير وتحقيق الغاية التى يهدف إليها من سفره، آخذاً فى اعتباره ما سيتعرض له فى طريقه من أمور ربما تتسبب فى انقطاع الطريق به وعدم مواصلة السير، أو قد تباعد بينه وبين غايته أو على الأقل قد تعوق مسيرته) .

وطريق الدعوة هوكل شىء فى حياة الداعى الى الله وأولى الطرق بالاهتمام بما يلزم من زاد يحمى من الانحراف عن الطريق أو الانقطاع والتوقف، أو التعويق والتعثر، لما يترتب على ذلك من خسران مبین وتفويت لخير كبير وفوز عظيم .

هذا الزاد يتمثل أول ما يتمثل فى الإيمان القوى وتقوى الله وهى خير زاد ثم معينات أخرى، كالصحبة الصالحة، والأدلاء الذين يرشدون ويقدمون الخبرة والتجربة وغير ذلك مما يجدد الطاقة والعزيمة وتجنب الانحراف والخطأ .

وللتدليل على لزوم هذا الزاد وأهميته نقول أن سيارة المسافر إذا نفذ منها الوقود على الطريق ولم يتجدد صارت وكأنها قطعة من الحديد لا تعينه على التحرك خطوة واحدة، كذلك من يسلك طريق الدعوة إذا تعرض زاده للنقصان أو النفاذ دون تجديد وازدياد صار صاحبه وكأنه جثة هامدة مريضة لا تستطيع حراكاً وصدق الله العظيم: ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها﴾ وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ .

إن هذا الزاد من الإيمان وتقوى الله يفجر ينابيع الخير من داخل النفوس ويولد الطاقات ويشحذ الهمم والعزائم فتسهل الحركة وتخف جواذب الأرض وتتخطى العقبات وتتفادى المنعطفات وتتضح معالم الطريق ويكون الصدق والإخلاص والعزم والثبات ويتحقق ما يشبه المعجزات من الإنجازات على الطريق .

إننا على طريق الدعوة نحتاج أول ما نحتاج الى الشعور بمعية الله فى كل خطوة وكل حركة وسكنة، بل فى كل لحظة فمن كان الله معه لم يفقد شيئاً ومن تخطى الله عنه فلن يجد إلا الضياع والضلال، وهذه المعية قد منَّ الله بها على المؤمنين أهل التقوى والإحسان حيث قال تعالى: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ وفى آية أخرى: ﴿وأن الله مع المؤمنين﴾ .

ما أحوجنا على طريق الدعوة لنور الله يضىء لنا الطريق ففسير على بصيرة دون انزلاق فى منعطفات تبعدنا أو عثرات تقعدنا، وهذا يتحقق بإذن الله ب زاد من التقوى والإيمان مصداقاً لقول الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم﴾، وقال تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾، ﴿وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ .وعلى طريق الدعوة ولكى نستطيع أن نؤثر ونغير الواقع الباطل لنقيم الحق يجب أن نستشعر معانى العزة والقوة

وعلو المنزلة ونتخلص من كل معانى الضعف والوهن والذل، ولا يتحقق ذلك إلا بزيادة الإيمان: {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين}، {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون}، {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله} .

ما أحوجنا على طريق الدعوة الى تطويع أنفسنا على الجهاد والتضحية بكل ما نملك من نفس ومال وجهد وفكر ووقت دون تردد، ولا يقدر على ذلك إلا من تزود بإيمان يجعله يؤثر ما عند الله ويستترخص كل غال في سبيل الله: {الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت}، {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون} .

نتعرض على طريق الدعوة الى الإيذاء - والابتلاء - فتلك سنة الله في الدعوات - ولايعين على تحمل ذلك والصبر عليه إلا زاد من الإيمان والتقوى: {تلبون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور} وكان هذا منطق رسل الله أمام إيذاء الكفار: {وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون} وكان منطق سحرة فرعون بعد إيمانهم وتهديد فرعون لهم: {قالوا لن نؤثرك عل ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا إنا آمنة بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى} .

ما أحوجنا على طريق الدعوة الى تثبيت الله لنا فلا تردد ولا شك ولا بعد ولا تخل عن العمل، والواجبات مهما ثقلت أو كثرت، والله سبحانه يمن بذلك على الذين آمنوا: {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة}، {إذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فتبتوا الذين آمنوا سألنى فى قلوب الذين كفروا الرعب} فاللهم ثبت أقدامنا على طريقك .

يتعرض الدعاة الى الله على طريق الدعوة الى التخويف والتهديد والوعيد من أعداء الله مما يدعوا البعض الى الخوف والبعد والقيود ولا ينجون ذلك إلا المتسلح بصلاح الإيمان المتزود بزيادة التقوى: {يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم، الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين} .

ما أحوجنا ونحن على طريق الدعوة الى تدعيم رابطة الأخوة والحب فى الله لئتم التعاون والتفاهم فى مهام الدعوة فى يسر والتقاء من قريب بسبب هذا الحب وهذه الأخوة، ولا يتحقق ذلك بصورة صادقة دائمة إلا بين المؤمنين: {المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض}، {إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون}، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشترط تمام الإيمان بتحقيق هذا الحب: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .

يتعرض الداعى الى الله وهو على طريق الدعوة الى فترات من الفتور والكسل يُخشى لو استمرت أن تؤدي الى الاسترخاء والقعود، ولكن المؤمنين بالتواصى بالحق والتواصى بالصبر كما أشار القرآن يمكنهم أن يتفادوا ذلك وبالأدركى التى تنفع المؤمنين والتناصح الواجب بين المؤمنين بأن يذكر أخاه إذا نسي ويعينه إذا ذكر وأن يبصره بعيوبه ويعينه على التخلص منها . وما أكثر ما يتعرض الداعون الى الله الى أحداث ومواقف قد تجعلهم فى ضيق أوحرج أوحيرة ويحتاجون الى تحديد الموقف الذى يمليه عليهم إسلامهم إزاء المواقف والأحداث والتقييم السليم لها من خلال النظرة الإسلامية والإقدام على قولة الحق ولو كان من ورائها العنت والإيذاء ولا يفيد ويعين فى كل ذلك إلا زاد من الإيمان وتقوى الله: {ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه}: {ومن يؤمن بالله يهد قلبه}: {ومتى يتق الله يجعل له من أمره يسراً}: {ربنا آتنا من لدنك رحمة وهىء لنا من أمرنا رشداً}: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً} وفى الحديث: (من أفضل الجهاد عند الله كلمة حق عند سلطان جائر) .

وعلى طريق الدعوة يتحتم على كل فرد أن يتحرى شرع الله فى كل قول وعمل ولا يخالف أمر الله ولا أمر رسوله فى كل أحواله، وأن يحرص على وحدة الصف وعدم الخروج عليه، ولا يعين على ذلك إلا إيمان صادق يحمى صاحبه من التقصير أو المخالفة وعدم الالتزام: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم}: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا}: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه، إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله} .

وعلى طريق الدعوة نحتاج الى العلم النافع اللازم لمن يدعوا الى الله على بصيرة ولا تكفى القراءة وكثرتها فى ذلك ولكن لابد من تقوى الله وإخلاص النية لفيض الله من لدنه علماً ونوراً وتوفيقاً، وصدق الله العظيم: {واتقوا الله ويعلمكم الله}، {وقل رب زدنى علماً} .

ونحن على طريق الدعوة نشعر بالحاجة الملحة لتأييد الله ونصره لنا خاصة حين نتعرض الى الصور المختلفة من كيد أعداء الله وحربهم: {وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب} ، ونصر الله والتمكين لدينه لا يتحقق إلا للمؤمنين المجاهدين، فالزاد من الإيمان القوى سبب أساسى وشرط لازم لتحقيق نصر الله والتمكين: {وكان حقاً علينا نصر المؤمنين}: {إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد}: {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً} .

وأخيراً يلزم أن نظل أوفياء بالعهد غير ناكثين ولا مبدلين ولا مغيرين حتى نلقى الله على طريق الدعوة ونحن على ذلك، والإيمان وتقوى الله خير زاد يعيننا على ذلك: {بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين}: {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً} .

وهكذا رأينا مدى حاجتنا الى الزاد على الطريق، وكيف أننا لانستطيع أن نخطوخطوة أونحقق خيراً وننجز عملاً بغير هذا الزاد من الإيمان والتقوى، فلننزود به ولنجدده دائماً على الطريق ولا ندعه ينقص أويتعرض للنفاذ، بل نعمل على أن يزداد ويزداد، وحول التعرف على مصادر الزاد وكيف نعمل على زيادته وتجديده ستكون هذه الموضوعات بإذن الله ونسأل الله العون والتوفيق .

فلننزود من القرآن

أرأني أشعر بالعجز عند الكتابة حول موضوع الزاد على الطريق وخاصة حول كيفية النزود وكيف ننهل من زاد الإيمان والتقوى والهداية والنور، فالأمر ليس أمر خبرة وتجربة ومعرفة لكنّه بالدرجة الأولى يرجع الى تفضل المعطي الوهاب سبحانه وتعالى {يختص برحمته من يشاء} وهو الذي يمنّ علينا بالهداية والإيمان ويفيض بأنواره ورحمته بلا حدود فلا حرج على فضل الله . {يؤمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين}، {ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم} .

الله مصدر كل خير:

فإنّ الله سبحانه مصدر كل خير ولكنه تفضلاً منه ورحمة بنا أرشدنا الى الوسائل والأسباب التي نأخذ بها كي نستجلب هذا الزاد منه سبحانه، ولودققنا لوجدنا أن الأمر بالدرجة الأولى يرجع الى حال العبد الذي يقف بباب ربه يسأله ليعطيه، فيطلع منه ربه على خضوعه وخشوعه وذله وافتقاره إليه وخوفه منه وخشيته له ورجائه منه وطمعه في رحمته، هذا هو الأصل ثم تأتي بعد ذلك الوسائل والأسباب، وبقدر صدق العبد في هذه الأحوال يكون العطاء والفضل من الله الوهاب .

من هنا أجدني أشعر بالإشفاق على نفسي وقد يصل الإشفاق الى الخوف عندما أجدني أتعرض لإرشاد غيري في هذا الأمر وقد لا أكون أهلاً لذلك . ولكن أمام إحساسي بالحاجة الماسة والضرورة الملحة لهذا الزاد بالنسبة لكل من يسلك طريق الدعوة فإنني أستعين بالله وأكتب لمحات للاسترشاد بها .

ولما كان هذا الزاد شأن كل زاد قابل للزيادة والنقصان، بل قد يتعرض للنفاذ، لزم أن يحرص كل منا على تجديده وزيادته والمحافظة عليه من النقصان والنفاذ، وكما سنرى نجد أن الله قد يسر لنا الأسباب وفي كل الأوقات دون عوائق .

القرآن:

ومن أهم وأيسر وأغزر الوسائل وأكثر فيضاً كتاب الله العزيز فهو معين لا ينضب من الزاد، بل إننا نجد فيه أيضاً التوجيه الى غيره من الوسائل التي ننزود بها، إننا نجد فيه النور والهداية والرحمة والذكر .

فالقُرآن يرشدنا الى أن تلاوته من أفضل الوسائل للتزود بالإيمان وتقوى الله، ويرشدنا الى توحيد الله الذى يحقق السلام والطمأنينة داخل النفس، ويوجهنا الى عبادة الله التى تكسب صاحبها الزاد المتجدد من تقوى الله، ويدعونا الى التفكير فى خلق الله فنتعرف من خلاله على صفات الله فيتولد تعظيمنا وإجلالنا وتقديسنا لله سبحانه وتعالى وفى ذلك خير زاد من الإيمان بالله وتقواه، وفى القرآن نجد العظة والعبرة من قصص السابقين من الرسل وأقوامهم مما يزودنا بالخبرة والحكمة ونحن ندعوا الى الله .

والقرآن يطلب منا طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والافتداء به وفى ذلك خير عون وإرشاد فى الطريق، وفى القرآن التوجيه الى فعل الخير والحث عليه والتحذير من الشر والبعد عنه، وفيه التذكير باليوم الآخر والبعث والحساب والجزاء، فيه الترغيب فى الجنة والتبشير بها والترهيب من النار والتنفير منها ، وبالجملـة نجد فى القرآن كل خير يحتاجه الإنسان لتحقيق له السعادة والآخرة ويحفظه وينجيه من العنت والشقاء فى الدنيا ومن عذاب الآخرة، كما أن فيه كل مقومات التربية التى تصنع رجال العقيدة وتفجر فيهم طاقات الخير: {إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم}، {هذا بصائر للناس وهدى وموعظة للمتقين}، {وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين}، {يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين}، {قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم} .

من الجاهلية الى الإسلام:

لوتساءلنا ما الذى جدَّ على الجزيرة العربية وغير تلك الأمة من الجاهلية التى كانت عليها بكل ألوان فسادها وضلالها الى خير أمة أخرجت للناس، وصنع منها رجالاً بل نماذج فذة ضربت أروع الأمثلة فى كل ميادين الخير ؟ لونظرنا لوجدنا أن الذى جدَّ على الجزيرة هو نزول هذا القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل به الأمين جبريل على الأمين محمد صلى الله عليه وسلم فبلغه بأمانة الى الناس ثم تربى من آمن من المسلمين فى مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم على مائدة القرآن، فغيرهم القرآن وصنع منهم تلك النماذج التى قامت على أكتافها الدولة الإسلامية وتمت على أيديهم الفتوحات الإسلامية وعم النور وتبدد الظلام، رأينا من استحوذت عليهم العقيدة الإسلامية وتحملوا صنوف العذاب دون أن يتخلوا عنها، واسترخصوا أرواحهم وأموالهم فى مقابل ثباتهم على عقيدتهم، فياسر وسمية وبلال وصهيب وغيرهم رضى الله عنهم جميعاً نماذج رائعة ستظل مضرب الأمثال على مر الأجيال .

رأينا رجالاً ضربوا المثل فى مجاهدة أنفسهم والترفع بها عن كل قبيح والتحلى بكل خلق فاضل، ضربوا الأمثال فى الصدق والوفاء والأمانة والحلم والزهد والحب والإيثار والجهاد ومجادة الأعداء والجود وإقامة العدل والشعور بالمسئولية، خرج من الشباب من كان أهلاً لقيادة الجيوش كأسامة بن زيد رضى الله عنهما .

القرآن بين أيدينا:

ها هوذا القرآن بين أيدينا دون تحريف فقد تعهد الله بحفظه: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} وها هي ذى مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ماثلة أمامنا فى سيرته وسنته، فهل يمكن أن تغير وتتخرج منا نماذج شبيهة بتلك النماذج ؟ أقول نعم لو أننا تعاملنا مع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما تعامل المسلمون الأول .

كان المسلمون الأول يعظمون القرآن حين يسمعون أو يتلونه لأنه كلام الله العظيم الكبير المتعال، ويقدرّون فضل الله ولطفه بخلقه فى إيصال معانى كلامه الى أفهام خلقه فى طى حروف وأصوات هى من وسائل البشر، كانوا يستمعون إليه بقلوب حاضرة وبتدبر وتفهم متخلين عن كل موانع الفهم، يسمعه كل واحد منهم وكأن الله يخصه فيه بكل أمر أونهى، متأثرين بكل ما فيه من عظات وعبر وزواجر ومبشرات كلما سمعوا نداء: {يا أيها الذين آمنوا} أصغوا فى انتباه واهتمام كبير بما سيأتى بعد هذا النداء من توجيه أوامر أونهى لينزلوا عليه وينفذوه بكل دقة وتسليم مطلق ورضاً كامل دون تردد أوتراخ ، فإنه ليس نداء أحد من البشر ولكنه نداء من الله خالق البشر صاحب الملك والجبروت، هكذا كان حالهم مع كتاب الله ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ما يدعوهم إليه ويأمرهم به أو ينهاهم عنه فقد ايقنوا أنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ولكن بوحى وتوجيه من الله .

{إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون}، {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم}، {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً}، {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا} : {من يطع الرسول فقد أطاع الله} وبذلك صار قرآناً حياً يمشى على الأرض وكانوا يستعينون بالعمل على الحفظ لا بالحفظ على العمل .

أما مسلموا اليوم فقد ورثوا الإسلام دون جهد أومعانة، ورثوه مجتزأً محشواً بالبدع والخرافات، ورثوه وقد سلب منه جوهره وحيويته، ورثوه فى فتور وضعف وخمول ، لم يقدروا منزلتهم بهذا الدين الحق، لم يستشعروا عظمة هذا القرآن باعتباره كلام رب العالمين، هجروه وأعرضوا عنه وإذا استمعوا إليه لم يتدبروه أويتأثروا به أوينزلوا على أوامره ونواهيه، وإنما شغلهم نغم القارئ وألحانه وكأنهم يسمعون مغنياً وتسمع لهم جلبة وضوضاء تعبيراً عن إعجابهم بصوت القارئ ولوتدبروا وتأثروا لأنصتوا فى خشوع كأمر الله تعالى: {وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون} وبئس هؤلاء القراء الذين يعجبون بهذا التهريج، ولو احترمو القرآن لطلبوا من المستمعين الإنصات فإن أبوا وقفوا عن القراءة .

إن كثيراً من مسلمى اليوم ألهمتهم الحياة الدنيا وزحمت عليهم أفندتهم وعقولهم وصارت حوائل تمنع نور القرآن من أن يشع فى قلوبهم فيضيئها بنور الإيمان: {كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون} .

نماذج يمكن أن تتكرر:

ورغم ذلك فقد شاعت إرادة الله أن يبقى الخير في أمة محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة، فحينما أراد الله أن يجدد لهذه الأمة أمر دينها على يد الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله إذ علم سر القرآن وتأثيره في النفوس فجمع الإخوان على كتاب الله وسنة نبيه وأرشدتهم ورباهم على ما كان عليه السلف الصالح من تعامل مع القرآن وتأدب بآدابه وامتنال لكل توجيهاته، ومع مدارس السيرة وإظهار النماذج الرائدة التي تخرجت على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بنا نجد صوراً لهذه النماذج تتكرر، ظهرت في مجالات مختلفة في الجهاد والفداء والاستشهاد في فلسطين والقتال وظهرت بين الناس كنماذج رائعة في امتثال تعاليم الإسلام فكانوا موضع الثقة بصدقهم ووفائهم وأمانتهم وحسن خلقهم، وظهرت فيمن تحملوا الإيذاء والتعذيب والابتلاء من أعداء الله وثبتوا ولم يتخلوا واتخذ الله منهم شهداء، وظلت الراية مرفوعة حتى يسلموها لمن بعدهم عالية دون تفريط أضعف أوتهاون ودون تبديل ولا تغيير: {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً}، {فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين} .

تعالوا نحسن تعاملنا مع القرآن:

وبعد أن وضح لنا أثر القرآن وكيف يغير النفوس ويضيء لها الطريق ويهديها الى الصراط المستقيم، وأن تلاوته تزيد المؤمن إيماناً بالله وتوكلأ عليه كما قرر الله ذلك في قوله تعالى: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون}، فلو قدر القارئ ربه حق قدره وخشى الله لتأثر بالقرآن واقشعر جلده عند تلاوته أو سماعه فالله تعالى يقول: {الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقولبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده}، {لوانزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون} .

لأحسن الصلة بآية واحدة من كتاب الله لسرى تأثيرها وهزت المشاعر وأنارت القلوب كتيار الكهرباء حينما يحدث الاتصال تسرى الكهرباء وتنير وتولد الطاقات أما وجد العازل لم يسر التيار ولم يحدث له أى تأثير .

- القرآن يعالج قضية الإيمان بكل جوانبها ويدلل عليها في مواطن كثيرة بما ييسر الإيمان لغير المؤمن وبما يزيد المؤمن إيماناً كلما قرأ القرآن أو استمع إليه .

- القرآن يحدد لنا رسالتنا في هذه الحياة الدنيا لنؤديها ولا نحيد عنها وذلك في قوله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} .

- القرآن يتعهدنا ويرشدنا كيف يكون حال المؤمن وموقفه من الأحوال المختلفة لنسلك سبيل المؤمنين في أقوالنا وأفعالنا ، نلجأ الى الله عند الفقر أو المرض أو الضيق والشدة وعند لقاء العدو وكذا الشكر على نعمه علينا وهكذا وهذه الآيات توضح ذلك:

{فقال رب إني لما أنزلت اليّ من خير فقير}، {وأيوب إذ نادى ربه إني مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين}، {وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نجى المؤمنين}: {ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين}، {حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إني تبت إليك وإنى من المسلمين} .

- ونجد القرآن يحذرنا ويحميننا من الوقوع فى دائرة اليأس والقنوط من رحمة الله ويبعث فىنا كل معانى الطمأنينة والراحة النفسية والأمل والطمع فى رحمة الله: {قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم} .

- الداعى الى الله يجد فى القرآن، خير عون وخير زاد له على الطريق حيث يتعرف على أسلوب الدعوة الصحيح عل لسان الرسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكيف كانوا يصبرون على أذى أقوامهم ويرغبون فى الإيمان وينقرونها من الكفر والعصيان .

- فلى قراءة القرآن وحفظه خير زاد للداعى الى الله يعينه على الاستشهاد بالآيات القرآنية عند الحديث فى أى معنى من المعانى مما يجعل حديثه أكثر تأثيراً فى النفوس .

الاتباع والتطبيق:

لنتدبر القرآن حين نقرؤه وإذا لم نتمكن من التدبر إلا بترديد بعض الآيات فلنردد، فقد ورد بإسناد صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بآية يرددها وهى قوله تعالى: {إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم} .
ليكن ههنا الأول من القراءة الاتباع والتطبيق: {واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم}، ولنتبع توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قراءتنا للقرآن حيث يقول فى حديث متفق عليه: (اقرؤوا القرآن ما انتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فإذا اختلفتم فليستم تقرأونه) وفى رواية: (فإذا اختلفتم فقوموا عنه) .

ولنحذر أن تشغلنا مخارج الحروف وأحكام التلاوة عن التدبر والتفهم فينصرف كل الاهتمام إليها دون المعنى والتأثر به .
ولنداوم على تلاوة القرآن ولا نهجره كى يتجدد الزاد ولتدم صلتنا بالله عن طريق تلاوة كلامه، ولنحفظ ما استطعنا فإنه يعين فى الصلاة وقيام الليل والاستشهاد بالقرآن فيما ندعوا إليه، وقد تعرض لك ظروف يحال فيها بينك وبين كتاب الله المسطور فترجع الى الرصيد الذى حفظته: {ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر} .

التفكر فى خلق الله ... وآياته

(إن عامل الترام المختص بتحويل الشريط وتغيير اتجاه الترام لايحمل الترام فيوجهه حيث يشاء، إنما بعصا بسيطة هي عصا التحويل وبغمزة خفيفة يحول الشريط فيتحول الترام أويتجه وجهته الجديدة دون عناء، فالقلب الإنساني ومعرفة الله تعالى هكذا، المعرفة الحققة لله هي عصا التحويل فإذا مست القلب الإنساني تحول من حال الى حال، فإذا تحول فقد تحرك الإنسان كله، وإذا تحول الفرد تحولت الأمة، فلوأردت الإصلاح فأصلح القلب البشري بأن تعرفه بالله حق المعرفة) من كلام للإمام الشهيد في أحد دروس الثلاثاء .

فما أحوجنا الى هذه المعرفة الحققة لله تبارك وتعالى لتصلح قلوبنا وتغير حالنا كي يتغير حال الأمة كلها، وما يزودنا بهذه المعرفة التفكير في خلق الله وآياته في هذا الكون، وتدبر أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى .

والقرآن الكريم يحثنا في كثير من آياته على التفكير: {إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبصار الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه ففنا عذاب النار}: {قل انظروا ماذا في السموات والأرض}، {أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت}، {وإن لكم في الأنعام لعبرة}، {وفى أنفسكم أفلا تبصرون} .

كما يعيب القرآن على الذين لا يعملون عقولهم وأبصارهم فيما حولهم من آيات: {وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون}: {ولقد ذرأنا لجهنم كثير من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون} .

والتفكير في خلق الله وآياته في هذا الكون مجالاته كثيرة لاتحصى فهي تشمل كل شيء .

في كل شيء آية:

إذ أن له في كل شيء آية تدل على أنه الواحد ... ولما كنا لانستطيع الإحاطة بها فسنكتفى بضرب الأمثلة في تركيز شديد تاركين لكم الاستزادة فيما يعرضه كتاب الله المقروء ومن عظمة الله وقدرته في خلقه في كتاب الله المنظور وهو هذا الكون الفسيح، وقد ظهرت كتب تناولت بعض التفصيل الذي كشف عنه العلم الحديث من أسرار هذا الكون تدل دلالة كافية على وجود الله ووحدانيته واتصافه بكل صفات الكمال .

- في هذا الكون الفسيح إذا نظرنا الى الكرة الأرضية وجدناها شيئاً ضخماً بالنسبة لكل منا، ولكن إذا تخطيناها ونظرنا الى هذا الفضاء وما فيه من نجوم وكواكب وعلمنا ما اكتشفه العلم الحديث من معلومات حول أعدادها الهائلة وأحجامها وأوزانها وأبعادها وسرعاتها لعجزت عقولنا عن تصور هذه المعلومات، فالشمس حجمها مليون ومائتان وخمسون ألف مرة مثل حجم الأرض، وهناك نجوم حجمها مثل حجم الشمس ملايين المرات .

وكل فى فلك يسبحون دون صدام أوخلل، ذلك تقدير العزيز العليم، ووحدة قياس مسافات النجوم هى السنة الضوئية أى المسافة التى يقطعها الضوء خلال سنة كاملة مع العلم أن سرعة الضوء ثلاثمائة ألف كيلومتر فى الثانية . ويقول علماء الفلك أن هناك نجوماً تبعد عنا بمئات الملايين من السنين الضوئية، وصدق الله العظيم: {فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لوتعلمون عظيم}، واليوم وبعد أربعة عشر قرناً من نزول هذه الآيات بدأنا ندرك شيئاً عن مواقع النجوم وعظمتها والله تعالى يقول: {والسمااء بنيناها بأيد وإنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون} ، وإذا نظرنا الى الدقة المتناهية فى السنن التى قدرها الله للشمس والأرض والقمر من حيث المسافات والسرعات والأوزان وميل محور الأرض وسرعة دورانها حول نفسها وحول الشمس بما ييسر الحياة على الأرض فى جومناسب ولنعلم عدد السنين والحساب سبحانه خلق كل شىء فقدره تقديراً .

ومن الكون الفسيح الى عالم الجزيء والذرة وتكوينها واختلاف العناصر والمواد فى خصائصها بسبب اختلاف مكونات كل ذرة حسب النظريات التى افترضها العلماء كتفسير الظواهر التى يلمسونها ، وقرأت فى هذا المجال كلاماً طيباً وهوأن البشر مهما أجهدوا أنفسهم ليعرفوا كنه المادة فلن يصلوا إليه لأن هذا سر الصنعة وسر الصنعة عند الله وحده .

عالم النبات والحشرات:

وفى عالم النبات تتجلى عظمة الله وقدرته بشكل واضح، فكل حبة من نبات تحمل خصائص نوعها المتميز عن غيرها فى الساق والأوراق والأزهار والثمار والألوان والمذاق والرائحة، وصدق الله العظيم: {وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون}، {أفأيتهم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون } هذا الاختلاف بين النباتات فى أوقات نموها وفترات النمووالأجواء المناسبة وغير ذلك الكثير مما اكتشف ومما لايزال مستوراً لن يستطيع العلماء مهما أوتوا من علم أن يصنعوا حبة نبات بحيث لووضعت فى الأرض ورويت بالماء تخرج نباتاً، لأن سر الإنبات فى الحبة الأصلية من اختصاص الله وحده ولا يستطيع بشر أن يودعه حبة صناعية .

وفى عالم الحشرات نجد العجب العجيب فأى حشرة مهما صغرت لها أجهزتها وحواسها ونظامها الخاص فى حياتها كما فطرها الله، وكشف العلماء ولا يزالون يكتشفون ما يذهل العقل مما يحدث داخل مجتمع كل نوع من هذه الحشرات من عمل دائب ونظام دقيق وعدم التداخل فى الاختصاصات ودقة عجيبة فى بناء مساكنها وتكييفها بما يحمى من اختلاف الأجواء، فنرى مثلاً خلية النحل وتوزيع العمل واختصاص كل نوع وهذه الأقراص الشمعية السداسية الدقيقة، إنها الفطرة التى فطر الله عليها هذا الخلق،

وصدق الله: {هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه}:

{الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى} ويقول علماء الحشرات أنه يكتشف سنوياً بمعدل عشرة آلاف نوع جديد من الحشرات، وأن صنف الخنافس مثلاً يوجد منه ثلاثون ألف نوع غير الخنافس البشرية التى ظهرت حديثاً !! كما أنه لا يستطيع بشر أن يخلق حشرة لأن سر الحياة من اختصاص الله وحده: {يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز} .

أفاق وآفاق:

وفى عالم الطيور وكثرة أنواعها واختلاف أشكالها وأحجامها وألوانها وأصواتها وأعمارها ونسبة تكاثرها وقيامها بحضانة البيض ورعايتها لأفراخها وإطعامها الطعام المناسب لمراحل نموها، وكذلك رحلات الهجرة الطويلة فى مواسم محددة وإلى أماكن معينة وعودتها إلى أوطانها دون خريطة أو بوصلة، ونلمس فى عالم الطير غيرة الذكر على أنثاه بما لانهاء عند كثير من البشر اليوم .

ولوتتبنا تطور الجنين فى البيضة حتى يتم نموه وكيف يخرج مستعداً لمواجهة الحياة لتجلى لنا قدرة الله ورحمته بما لا يدع شكاً لمتروك فى الإيمان بالله وتقديسه وإجلاله .

وفى عالم الحيوان آفاق واسعة كذلك فمنها المستأنس والمتوحش، وكذلك اختلاف أنواعها وأشكالها وأحجامها وألوانها وطباعها وأعمارها وأنواع طعامها، وتركيبها الداخلى ووظيفة كل جهاز وتكوين الجنين وتطويع نموه وفترات نموه وهذا اللبن من بين فرث ودم يخرج مناسباً لغذاء المولود الرضيع ولا يزال علماء الحيوان يكتشفون كل يوم جديداً يؤكد إبداع الله فى خلقه وحكمته البالغة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وعالم البحار واتساعه وكثرة ما فيه من عجائب رغم قلة ما اكتشف بسبب التأخر فى اختراع الوسائل الحديثة للغوص تحت الماء فى أمان، ويقال إن ما فى البحار أكثر مما على اليابسة من حيث الأنواع والأعداد، كذلك لوتأملنا من زاوية ما تؤديه هذه البحار من تلطيف للجو من تبخر الماء الذى يتكون منه السحاب ثم تسقط الأمطار فى أنحاء متفرقة ولولا الجبال ما كانت الأنهار .

وهذا الغلاف الجوى المحيط بالأرض وما أودعه الله فيه من غازات مختلفة بنسب معينة بما يهيىء الجو المناسب للحياة على الأرض، والوظيفة التى يؤديها كل غاز ولوتغيرت النسب لاختلت الحياة على الأرض للكائنات الحية والنباتات، هذه التغيرات الجوية وكيف تتم وتأثير حرارة الشمس واختلاف الضغط وإثارة الرياح وتراكم السحاب وسقوط الأمطار وعلماء الأرصاد الجوية لا يزالون يكتشفون الكثير حول هذه الأمور الغاية فى الدقة والإبداع .

{ألم تر أن الله يزجى سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار}:

{أفأرأيتم الماء الذى تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جلعناه أجاجاً فلولا تشكرون}،
{وفى أنفسكم أفلا تبصرون} لو تأملنا فى أنفسنا وتكويننا وهذه الأجهزة المختلفة من هضمى ودموى وتنفسى وعصبى وبولى وغير ذلك لما استطعنا أن نحيط بقدرة الله وعظمته فى هذا الإبداع والإتقان: {صنع الله الذى أتقن كل شىء}، رحمة الله وقدرته تتجلى فى تطور الجنين ونموه وحفظ الله ورعايته له، هذا العقل وكيف يعمل وكيف يفكر، وهذه الذاكرة وكيف تستوعب المعلومات وكيف نستخرجها منها، والحقيقة أن المجال ليس مجال إحاطة ولكن ذكر أمثلة فقط.

وهذا قليل من كثير ... وعموماً، كل ما فى العلوم التجريبية والنظرية تتجلى فيه صفات الكمال لله سبحانه وتعالى، وما اكتشفه الناس من أسرار هذا الكون لا يذكر بالنسبة لما يجهلونه: {وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً}:

{وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين} {سنريهم آياتنا فى الافاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق}.

ما أحوجنا أن نربط العلم بالخالق: {اقرأ باسم ربك الذى خلق}، فالعلم يدعول لإيمان ... وهكذا بالتفكر فى آيات الله وخلق الله تتحقق معرفة الله ويزداد الإيمان بالله وتعظيمه وتقديسه، وبقدر منزلة الله فى قلوبنا تكون إن شاء الله منزلتنا عند الله، وليكن معلوماً أننا لن نستطيع أن نقدر الله حق قدره،

وحقاً سبحانه من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته.

التفكر فى نعم الله

تجد الناس يحمد بعضهم بعضاً حينما يُقدّم أحدهم عوناً لأخيه ولو كان صغيراً ولا تجد الكثيرين منهم يحمدون الله على نعمه عليهم رغم عظمها وكثرتها، وكأن هذه النعم حق مكتسب لا فضل لله عليهم فيها، بل كثيراً ما يستعملونها فى معصيته، إنها الغفلة والجحود والكفران بالنعمة.

لا يقدرّون قيمة هذه النعم إلا إذا حُرّموا منها أو أصيبوا فيها فيجأرون لله بالدعاء ومنهم من يضيق بالحياة وقد يلجأ الى الانتحار: {وما بكم من نعمة فمن الله}، ثم إذا مسكم الضرّ فإليه تجأرون ثم إذا كشف الضرّ عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون}، {وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار}.

ولهذا نجد القرآن الكريم يدعونا الى التفكر والتعرف على نعم الله التى لا تحصى، وأن نقدرها قدرها ونستشعر فضل الله علينا، ونقوم بواجب الحمد والشكر له على ما أنعم، فما أجدرنا أن نقف عند هذه الآيات وقفة تدبر وتقدير لهذه النعم لنزداد شعوراً

بفضل الله وكرمه ورحمته وإحسانه ومدى فقرنا وحاجتنا إليه سبحانه في كل لحظة وفي كل حركة وسكنة، وكذا مدى تقصيرنا في واجب الشكر وضرورة استعمال هذه النعم في طاعته والبعد بها عن معصيته .

ولنبداً بكبرى النعم وأعظمها وهي نعمة الإسلام: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً}، {إن الدين عند الله الإسلام}، {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين} بهذا الدين تكون السعادة والهناء والسكينة في الدنيا والفوز والنعيم والنجاة في الآخرة، وبدونه يكون الشقاء والضياع والتمزق في الدنيا والخسران والعقاب والحرمان من رضوان الله ومن النعيم في الآخرة .

إن الكثير من المسلمين لا يقدرون ما هم فيه من نعمة بانتسابهم الى هذا الدين العظيم ربما لأنهم ورثوه دون جهد منهم، ولم يحاولوا التعرف على ما يحققه لهم من خير في دنياهم وآخرتهم، إن نعمة الإسلام هي كل شيء وما عداها لا شيء، لأن يصاب الواحد منا في ماله أو ولده أو سمعه أو بصره أو أى شيء من متاع الدنيا أهون عليه من أن تكون مصيبته في دينه، وها هوذا رسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم يوجهنا الى ذلك في هذا الدعاء: (اللهم لاتجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا) ما أوجبنا أن نردد دائماً حمدنا لله على هذه النعمة : {الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله} والله سبحانه وتعالى يدعونا للمحافظة على هذه النعمة حتى نلقى الله عليها : {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون} لأن الأمور بخواتيمها، وها هوذا سيدنا يوسف عليه السلام بعدما آتاه الله الملك يدعو الله أن يتوفاه مسلماً: {رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا توفي مسلماً وألحقني بالصالحين} .

ولكى تكمل علينا هذه النعمة يجب أن نكون مسلمين حقاً .

ونعمة الأخوة في الله والحب في الله هذه الرابطة القوية الخالصة لوجه الله ما أعظم ما تضيفه على أصحابها من سعادة وراحة نفسية لا يقدرونها إلا من عاشها فمن ذاق عرف من خلال التعاون على البر والتناصح والتذكير بالخير والتكافل والمودة والرحمة، والله سبحانه يذكرنا بهذه النعمة فيقول: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً} .

وأن حياة وسط قوم يملأ قلوبهم الحقد والغل والشحناء والبغضاء حياة لا تطاق كلها همٌّ وغمٌّ وكربٌ والعياذ بالله . وبعد هذه النعم الكبرى ننتقل الى ما دونها فنفكر فيها لنعرف قدرها، فأطلب منك أن تخلو لنفسيك وتتصور أنك أصبت في بصرك وفقدته وعجز الأطباء أن يردوه إليك، وفكر في التغيير الذي سيطرأ على حياتك بشيء من التفصيل: في عملك وعلمك وحركتك وكل ما يتصل بحياتك ومدى ما ستعرض له من قيود وحرَج وضيق . بقدر عمق تفكيرك ذلك بقدر تقديرك لهذه النعمة بحيث

لوخِيرَت بينها وبين المال الوفير لاخترتها دونه . وتكون حينئذ على استعداد كامل لأن تعطى المواثيق لله لورد إليك بصرك لسخرته لطاعة الله وما استعملته فى معصية الله، فهلاً ألزمتنا أنفسنا بذلك أم نتظر حتى نصاب ثم نعطى المواثيق .

تصور ياأخى بعد ذلك أنك بسبب أوبأخر فقدت السمع مع فقد البصر، كيف يكون الحال حينئذ ستجد نفسك فى سجن مظلم لاترى ولا تسمع من حولك وسيزداد الحرج والعنت والضيق أوالقيود فى الحركة وكل أمور الحياة .

وستعرف حينئذ قيمة هذه النعم وفضل الله عليك وعظم رحمته وإحسانه وفقره واحتياجك إليه وأنتك لوصمت النهار كله وقمت الليل كله وأنفقت العمر كله فى طاعة الله ما وفيت حق الشكر على هاتين النعمتين .

لاتضق يا أخى واستمر معى وتصور مع فقدان السمع والبصر فقدت النطق أيضاً وتصور حالك حينئذ سيزداد السجن ظلاماً وتزداد القيود ويصعب التعامل مع الحياة، فإذا أردت شيئاً أوأراد أحد منك شيئاً كان من العسير التعرف على هذه الرغبات إسأل نفسك عن مدى صبرك ورضاكَ بهذه الحال ما لم تكن متمتعاً بنعمة الإيمان ما تحملت مثل هذه الحياة، فهلاً نلزم أنفسنا أن نستعمل هذه النعم فى طاعة الله فلا ننظر إلا الى حلال ولا نستمتع إلا الى حلال، ولا ننطق إلا خيراً .

ونعمة العقل ما أعظمها وما أجملها نعمة من الله، لوردت إليك حواسك الثلاثة السابقة ولكن طرأت عليك إصابة أولوثة بالعقل مجرد تصور فأنت والحمد لله بعقلك وإلا لما تابعت معى ما أكتب ولأرحت نفسى، كيف يكون الحال ؟ لا انضباط، لا وعى، لا إدراك لأى خطر، ولا تفاهم، ولا أمان من حدوث أى تصرف فى أى وقت، ثم يكون المصير الحبس مع أمثاله حتى توافيه منيته . فهلاً نستشعر قيمة نعمة العقل ونستعملها فى التعرف على الله وما ينفعنا وما ينفع ديننا ولا نسخرها فيما يغضب الله .

هكذا لو فكرنا فى غير ذلك من النعم التى يحتويها جسدنا كالأيدى وأصابعها والأرجل وأقدامها وكل أجهزة الجسم وكل أعضائه الداخلية وأن الواحد لو أصيب بعطب فى شىء من ذلك لشل حركته وربما جعله سجين الفراش معظم حياته .

ومثل هذه الصور موجودة وماثلة أمامنا وعلى سبيل المثال جلطة بسيطة فى شعيرة من شعيرات المخ يمكن أن تحدث شللاً وفقداناً للنطق وغير ذلك فهل نحمد الله على نعمة العافية ونقرأ قول الله تعالى فى تدبر وخشوع: ﴿يا أيها الإنسان ما غرَّكَ بربِّكَ الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك﴾ .

وهذه النعم الكثيرة التى يحتاجها الجسم من غذاء وماء وهواء ودفء، هذه الحيوانات والنباتات والطيور وكل هذه النعم التى لو حرمتنا منها لتعرضنا للموت والهلاك، هذا الماء الذى جعل الله منه كل شىء حى، هل فكرت كيف يصل إليك ميسراً هذه الدورة التى يسير فيها من بخار من ماء المحيطات فتحمله الرياح ليصير سحاباً تسير به الرياح ويسقط مطراً وبسبب الجبال والهضاب يجرى فى أنهار حتى يصل إليك .

هذا الهواء وما فيه من غازات لازمة للحياة وهكذا لو تصورنا حرمانك من الماء أوالهواء أوالغذاء أوالدفء لما طقت الحياة ولتعرضت للهلاك . وما أجمل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تذكرنا بفضل الله وإنعامه علينا كلما استمتعنا بشىء من هذه النعم .

وهل ننسى نعمة الزوجة الصالحة والذرية الصالحة: {ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً} .
تصور حياتك مع زوجة غير صالحة وما تسببه لك من إزعاج ونصب بل وفتنة، أوحيايتك بدون زوجة، وكذلك الذرية إذا لم تكن صالحة مثار هم وكرب، وانظر أيضاً الى من لم يرزقوا ذرية وكم شوقهم إليها .

فلنحمد الله على هذه النعم ولنتق الله فيها ونقوم بواجباتنا نحوها، وصدق الله العظيم: {ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} .

{الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دانبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار} .

صدقت ربنا لن نحصيها ولن نستطيع أن نقوم بما تستحقه من الثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، هل فكرت يا أخى فى نعمة الليل والنهار، هل فكرت فى نعمة النوم، وما يكون عليه حالك لوحرمت هذه النعمة، ما أجمل قول الله تعالى وهو يذكرنا بذلك بقوله: {قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون} .

إننا لن نستطيع أن نستمر فى سرد نعم الله علينا ولكن يا أخى استشعر نعمة الله عليك فى كل شىء عندما تتحرك أو تنطق أو تأكل أو تشرب أو تلبس أو تنام أو تستيقظ أو ترى أو تسمع أو تشم أو تذوق أو تبشر أى أمر من أمور حياتك وأنه لولا فضل الله ورحمته ما استطعت أن تفعل شيئاً من ذلك .

فراقب الله سبحانه واجعل كل ما يصدر منك لله وباسم الله وموافقاً لشرع الله .

يخطيء الكثير من الناس ويحصرن نظرتهم الى نعم الله عليهم بدخلهم الشهري أو السنوى من دراهم أو ما شابه ذلك وينسون باقى النعم التى ذكرنا بعضها والتى لا يعدلها ملايين الملايين من المال، وصدق الله العظيم: {فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول رب أكرمن، وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن} .

فما أحوجننا الى تصحيح مثل هذه النظرة ونعلم أننا فى هذه الحياة فى امتحان ونبتلى بالخير كما نبتلى بالشر: {كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون} .

بعد مثل هذه الجولة من التفكير فى نعم الله أحسب أننا نخرج بزداد من معرفة فضل الله علينا وجميل إحسانه ومدى فقرنا إليه سبحانه .

هذا الزاد يدفعنا على تعظيم الله وإجلاله وطاعته وشكره وحسن عبادته ويحفظنا من الجرأة عل استعمال نعمه علينا فى معصيته، ولو أمسك الله رحمته عن إنسان لتحولت هذه النعم الى نقم يشقى بها ويأثم بسببها .

التفكر فى الغيب الذى ينتظرهم

كثير من الناس لا يفكرون فى الغيب الذى ينتظرهم والمصير الذى يسرون إله ويعيشون يومهم ودنياهم فقط وكأن هذا الغيب لا يستحق الاهتمام مع أنه الجدير بكل الاهتمام فهو المستقبل أو الحياة الحقيقية الأبدية .
فهل يشكون فى وقوعه لأنه غيب لا يلمسونه بحواسهم ؟ أم أن الدنيا ألهمهم وشغلهم عنه ؟ إن كانت الأولى فليراجعوا إيمانهم، وإن كانت الثانية فلينتبهوا قبل فوات الأوان ، إن الإيمان بالغيب وباليوم الآخر شرط لازم لتحقيق الإيمان وكيف لا نؤمن إيماناً يقينياً والله عز وجل يقسم بقوله: {فرب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون} .
إنها الغفلة والانشغال بمتاع الدنيا وزخرفها فلم يعد عند الناس وقت ولا حيز للتفكير فى الآخرة .
ما أجددنا أن نتخلص من كل آثار الغفلة ونفكر فى هذا الغيب وكأننا نمر به ونعيشه كأنه واقع كما صورته لنا القرآن والسنة فسينتج هذا التفكير تقديراً حقيقياً لهذا الغيب يدفعنا الى العمل والاستعداد لمواجهة هذا الغيب وهذا المصير بما فيه سعادتنا .
والغيب يبدأ باللحظة التالية وإذا حاولنا تجزئته الى مراحل فنبدأ بالمرحلة من اللحظة التالية حتى الموت، ثم الموت ثم القبر وحياة البرزخ، ثم البعث ثم العرض والحساب والصراط ثم الجنة أو النار .

الفترة الباقية من الأجل:

الفترة الباقية من الأجل لاندري أطول أم تقصر وهل سنوفق فيها الى الخير والعمل الصالح، أم سنتعرض الى فتن وانحراف أوزيغ، خاصة فى هذا العصر الذى كثرت فيه الفتن وتنوعت، الشعور بالخوف والحذر مع الشعور بالطمع والرجاء فى رحمة الله يجب أن يلزما كل واحد منا هكذا بصورة تولد فينا الدافع القوى لاستغلال الوقت فى تقديم الخير الذى ينفعا: {وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً} .
وعل طريقتنا فى التفكير اجلس ياأخى واخُلْ الى نفسك وتصور أنك أوأحد غيرك - إن كان ذلك يزعجك - قد قرر الأطباء أنه مريض بمرض سيلقى الله بسببه بعد مدة لا تزيد على ستة أشهر مثلاً، وقد علم هو بذلك وبدأ له مدة الحياة هكذا محدودة وبدأ العد التنازلى، تصور معى كيف يكون حاله - على فرض أنه مؤمن - لاشك أنه سيسارع الى عمل الخيرات بكل ما يستطيع مستغلاً كل وقته دون أن يضيع لحظة فيما لا ينفعه فى الآخرة ونجده يقدم ماله وجهده وفكره ونفسه وكل ما يملك فى سبيل الله دون تردد ولا بخل، وأحسب أنه لا يقدم على معصية بل إنها لا تخطر بباله، كيف وهويتها للقاء الله والحساب والجزاء هذا ما أنتصوره .

فهل يا أخى يضمن أحد منا أن يستمر أجله ستة أشهر أو أياماً أو ساعات أو دقائق أو حتى ست ثوان ؟ فهلا حاولنا أن نكون قريباً من هذا الحال فنترقب لقاء الله وننتهيأ له فإنه يأتي بغتة: {وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت} كلما وانتك فرصة عمل خير فلا تؤجلها، واغتنمها فقد يحال بينك وبينها بل لا تنتظر فرص الخير حتى تأتي إليك ولكن اسع إليها وابحث عنها لتكون ممن قال الله فيهم: {أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون}، إننا نرى من يسافرون ويسهرون ويجهدون أنفسهم لاغتنام كسب مادي دنيوى تافه وقد ينسون أنفسهم دون طعام أونوم مدة طويلة بسبب الرغبة القوية فى الكسب المادي، فهلا نأخذ العبرة وننشط ونجهد أنفسنا فى تجارتنا مع الله وشتان ما بين التجارتين وبين الربحين .

اجتهد يا أخى واعمل ما وسعك العمل لله فى إخلاص والتزام لشرع الله واستقامة على أمر الله، احرص على ألا يأتيك الموت عليك دين لأحد ودين الله أحق بالوفاء، واحرص أن تلقى الله وأنت سليم الصدر نحو إخوانك المسلمين واعلم أن أدنى مراتب الأخوة فى الله سلامة الصدر وأعلها الإيثار ، فلا تبیتن ليلة إلا على هذه الحال .

وسارع يا أخى الى التوبة والاستغفار قبل حلول الموت فإن التوبة لا تقبل عند حضور الموت: {إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً} .
{وليس التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً} .

مرحلة الموت:

ثم ننتقل الى مرحلة الموت كحد فاصل وهام بين مرحلتين فى هذا الغيب الذى ينتظرنا، لايشك أحد منا أنه سيموت، فالله سبحانه وتعالى يقول: {كل نفس ذائقة الموت} ولم نر أحداً فرّ من الموت، ولكن رغم ذلك نرى كثيراً من الناس ينسون الموت وكأنه كتب على غيرهم بسبب انشغالهم بالدنيا .

يجب علينا أن نتذكر الموت دائماً ونكون على أهبة الاستعداد للقاء الله، إذا وسوس الشيطان لإنسان بارتكاب معصية وتذكر الموت وأنه ربما يفاجئه وهويرتكب المعصية ولا يستطيع له دفعا وكيف يختم حياته بهذه الخاتمة وأى لقاء يلقي به ربه وهو على إثم، لاشك أن تذكر الموت كفيل أن يصرف عنه هذا الوسواس ويزجره ويعينه على شيطانه .

والرسول صلى الله عليه وسلم يدلنا على دوام تذكر الموت كما فى دعاء النوم ودعاء الاستيقاظ .
احرص ياأخى أن يأتيك الموت وأنت على خير وفى طاعة ، استقم على أمر الله وكن من المتقين: {الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون} .

لقد بكيت ياأخى عند ولادتك والأهل حولك يضحكون سروراً فأحرص يوم موتك وهم يبكون حولك أن تكون فرحاً مسروراً . أحب لقاء الله يحب الله لقاءك .

اجعل هذا الموت فى سبيل الله بل اجعله أسمى أمانيك، احرص أن تحول موتك الى حياة بأن تلقى الله شهيداً: {ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله}.
اعقد ياأخى الصفقة الرابعة مع الله إن لم تكن عقدتها من قبل، بعه نفسك ومالك لتنال جنة عرضها السموات والأرض، فإذا جاء الأجل بعد عقدها ولولحظة فزت ونلت الثمن، وإذا تأخر الأجل فكن دائماً على وفائك بعهدك وعقدك ولا تتردد أوتبخل: {ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم}، {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة}.

القبر وحياة البرزخ:

تعالى ياأخى بعد ذلك لننتقل الى القبر لنزوره ونحن أحياء قبل أن نزوره عند الموت ولا يلهينا التكاثر، تعال نزوره لننتعرف عليه وعلى طبيعة الحياة فيه ونعده ونهيئه لاستقبالنا لا بالجص والرخام والرمل الناعم فلا أثر ولا تأثير لذلك على المقبورين، ولكن لناخذ العبرة التى تحتنا على العمل الصالح، فالعمل هو الذى سيصحبنا فى القبر وهو الذى يجعله إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار .

والحياة فى القبر فترة محدودة أشبه بالزيارة يكون بعدها البعث والنشور والحساب والجزاء وصدق الله العظيم: {ألهم التكاثر حتى زرتم المقابر} .

ليس فى مقدورنا أن نعرف بدقة طبيعة الحياة فى هذه الفترة فهى لاشك مغايرة لحياتنا الآن، فالروح تنفصل عن الجسد الفانى، وما ورد فى الكتاب والسنة يعطينا ملامح حول هذه الحياة، فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون والله أعلم بطبيعة هذه الحياة التى يحيونها عند ربهم، وهناك مسالة القبر وفتنة القبر التى وجهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للاستعاذة بالله منها .
والقرآن يذكر لنا فى شأن فرعون وآل فرعون فيقول: {النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب} .

والعذاب فى القبر يشير إليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم مرَّ بقبرين فقال: إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير - أى يكبر ويشق عليهما فعله - أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة ... رواه الجماعة .

لنذكر القبر وحياته دائماً فهو ليس منا ببعيد فقد يصبح الواحد منا فى بيته وبين أهله ويمسى وحيداً فى قبره .
ولا يفوتنى فى هذه المناسبة أن أذكر خاطرة لأحد الإخوة أكرمهم الله عندما اعتقل فى جوف الليل وأخذه جند الطاغية من بين أهله وألقوا به فى زنزانة مظلمة خالية من كل شىء وأغلقوا الباب خلفهم وإذا به لايرى شيئاً من شدة الظلام، فكانت تلك الخاطرة: فقد تصور أنه خرج من الدنيا وصار فى القبر وأنه يواجه الحساب والجزاء وأن عمله لا يضمن له النجاة من العذاب

ففرع وخاف وتمنى أن يعيده الله تعالى الى الدنيا ليتدارك أمره ويصلح حاله وكأن الله حقق أمنيته وها هوفى الدنيا وقد تجددت له فرصة العمل وإصلاح أمره فكان لهذه الخاطرة الأثر الفعال فى نفسه فقد جعلته يرضى بحاله التى هوفىها ولو كان فى زنزانة مظلمة بعد أن كان بين أهله من لحظات فلا جزع ولا غم ولا كرب فهذا أهون بكثير من التعرض لعذاب الله، كما قوت هذه الخاطرة فى نفسه دوافع الخير والعزم على المسارعة الى كل عمل صالح ينال به رضوان الله وينجيه من عذاب الله .

هذه جولة تفكر فى بعض مراحل الغيب الذى ينتظرنا لنقرأها مرات ولنتذكرها دائماً لنتزود بالزاد الذى يحفظنا ويعيننا على الطريق والله المستعان وبالله التوفيق .

التفكر فى اليوم الآخر

لأكون مغالياً إذا قلت إن اليوم الآخر لا ينال من تفكير واهتمام كثير من المسلمين مثل ما يناله يوم من أيام الدنيا، بل ربما مرّت فترات طويلة على البعض دون أن يخطر على بالهم ذلك اليوم العظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين، ألا ترى الناس يستعدون ويتشمرون لحر الصيف وبرد الشتاء ويتهاونون ولا يستعدون لالتقاء حر جهنم وزمهريرها .

ورغم تكرار عبارة الإيمان بالله وباليوم الآخر فى القرآن نرى الكثير لا يذكرون ذلك اليوم ويرونه بعيد والأولى بالاهتمام الشئ القريب وهو الدنيا .

إن مجرد سماع أسماء ذلك اليوم الآخر ووقع رنينها من شأنه أن يهز المشاعر ويوقظ القلوب الغافلة: القارعة، الحاقة، الصاعقة، الواقعة، الصاخة، الطامة الكبرى، ال غاشية، الرجفة الى آخر هذه السماء والصفات .

ولوتدبرنا ما ورد فى الكتاب والسنة من وصف لهذا اليوم وما سيحدث فيه وعشنا هذا الوصف حقاً لما طرقت لنا عين بنوم ولما ابتسمت لنا شفاه ولما هنا لنا بال ولما جف لنا دمع .

من ذا الذى يقرأ أو يسمع هذه الآيات ولا يتأثر ولا يصحون غفلته: {يا ايها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد} .

فتعال يا أخى نتفكر سوياً فى اليوم الآخر وما فيه من أحداث ومشاهد يشيب لها الولدان، نتفكر فى النفخ فى الصور والبعث والنشور والعرض على الجبار للحساب والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير وتحديد المصير واجتياز الصراط الى الإسعاد بالجنة أو الإشقاء بالنار .

إننا لن نستطيع أن نتناول كل هذه المشاهد بتفصيل فى مقال أو أكثر ولكننا سنذكر بعض الملامح ونأخذ العبر كمثال ومنهج للتفكر والتدبر يزيد من إيماننا واهتمامنا باليوم الآخر .

النفخ فى الصور:

وتبدأ مشاهد اليوم العظيم بالنفخة الأولى فى الصور فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ويصاحب ذلك أمور يصعب علينا مجرد تصورها كأنفطار السماء وتناثر النجوم ونسف الجبال وتسجير البحار وزلزلة الأرض وتبعثر القبور ثم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ثم تأتى النفخة الأخرى ويكون البعث والنشور ويكون الناس كالفراش المبعوث حفاة عراة، ولنقرأ بعض الآيات والأحاديث التى تصف هذه المشاهد: {ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون}: {يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة يقولون إنا لمردودون فى الحافرة}: {فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذ أين المفر}: {بيوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة} .

هكذا فزع وهلع وحرّ وعرقّ وذهول، وفى حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه الى أنصاف أدنيه) متفق عليه فعلى أن نجتهد اليوم لنكون فى ذلك اليوم من أصحاب الوجوه المسفرة الضاحكة المستبشرة .

العرض والحساب والميزان:

تصور نفسك يا أخى بين يدي الله عز وجل تسأل عن كل فعل أوقول صدر منك مهما صغر، إذا كان البعض هنا فى الدنيا ترتعد فرائصهم عندما يسألهم رؤسائهم عن خطأ ارتكبوه فما بالناس بالعرض على الله سبحانه: {يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية}: {يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لوتسوى بهم الأرض ولا يكتُمون الله حديثاً} .. لا إنكار ولا اعتذار ولا تهرب: {بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره} والشهود بعض أعضاء الجسم: {يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون} وفى هذا الموقف ترد المظالم ويستوفى كل صاحب مظلمة حقه ممن ظلمه وهنا يجمل أن نذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل تدرون من المفلس ؟ قلنا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متاع، قال: المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحته عليه ثم طرح فى النار) .

وفى هذا الموقف تبدوا الحسرة والخزى والندامة والخوف والهلع وتجد من يقول: {يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولاً} كما أن هناك آخرين فى أمن وسرور واستبشار نسأل الله أن نكون منهم .

الصراط:

وبعد هذا العرض والحساب يأتى دور اجتياز الصراط المنسوب فوق جهنم ولوتصورت هذا المشهد كواقع أمامك لارتاع قلبك من مجرد التفكير فى اجتيازه تدبر معى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يميناً وشمالاً، وعلى جنبه ملانكة يقولون اللهم سلّم اللهم سلّم فمن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس ومنهم من يسعى سعياً ومنهم من يمشى مشياً ومنهم من يحبواً ومنهم من يزحف زحفاً ، فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون وأما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحماً ثم يؤذن فى الشفاعة) متفق عليه عن أبى سعيد الخدرى .

الشفاعة:

وبعض من حق عليهم دخول النار من المؤمنين يتفضل الله عليهم بقبول شفاعة من يرتضى فيهم من أنبياء أو شهداء صالحين ورسولنا صلى الله عليه وسلم أعطى الشفاعة ففى حديثه: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى ... الشفاعة إحداهن وفى حديث آخر: (لكل نبى دعومستجابة فأريد أن أختبىء دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة) متفق عليه . وهذا فضل وإكرام من الله للأمة الإسلامية ونبيها صلى الله عليه وسلم .

الحوض:

والحوض خصوصية أخرى لرسولنا عليه الصلاة والسلام ولأمتة ففى حديث رواه مسلم عن أنس قال: (حينما نزلت سورة الكوثر على رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل الصحابة وقال هل تدرون ما الكوثر ؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال إنه نهر وعدنيه ربى عز وجل عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آئيته عدد نجوم السماء) .

نار جهنم:

التفكر فى اليوم الآخر لكى يكون له أثره الفعال فى النفس يلزم أن نتفكر فى الجنة وفى النار فنتصور الحياة فى كل منهما متمثلين المشاهد والوصف الذى ورد فى كل منهما فى القرآن والأحاديث فيتولد الخوف والفرح من النار فنفر منها بفرارنا من

المعاصى ونتشوق للجنة ففسارع، وسنكتفى بذكر بعضها على سبيل المثال ولأن آية واحدة من تلك الآيات لامست القلب المؤمن دون حائل فهزت صاحبه هزاً واقشعر جلده .

اقرأ معي بعد أن تخلى قلبك وعقلك من كل المشاغل والصوارف: {هذا خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب فوق رؤسهم الحميم يُصهر به ما فى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق}، {إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً} : {واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورانه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هوميت ومن ورانه عذاب غليظ}: {إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم خذوه فاعتلوه الى وساء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكريم} .

هنا فى الدنيا لوأن حريقاً شبَّ فى مسكن مرتفع ولم يستطع أهله أن يفروا من السلم يقذفون أنفسهم من الشرفات خوفاً من النار رغم علمهم أنهم يتعرضون بذلك الى مخاطر وربما الى الموت فهلاً خافوا من نار جهنم خوفهم من نار الدنيا، فنار جهنم أجدر بالخوف .

ولا ننسى أن نذكر موقف إبليس مع أتباعه حين يتبرأ ويعود باللائمة عليهم: {وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم} .

الجنة ونعيمها:

هبى ريح الجنة ما أطيب ريحك وما أشوقنا إليك، إن ما ذكر فى كتاب الله وأحاديث رسوالله صلى الله عليه وسلم عن الجنة ووصف نعيمها هو على سبيل التشبيه بما فى دنيانا من نعيم، ولكن حقيقته تفوق ما فى دنيانا بصورة لاتخطر على بالنا ، ارجع ألى كتاب الله واقرأ وتمهل وتدبر تلك الآيات التى فيها ذكر الجنة ونعيمها واغمض عينيك وتصور نفسك وسط هذا النعيم واستشعر الشوق والحنين الى هذا المصير، هناك الأمن والسعادة وكل أنواع النعيم لا فزع ولا خوف لانصب ولا قتر ولا ذلة لاغل لا بغضاء بل إخواناً على سرر متقابلين .

وإذا كانت القصور والجنات والحدود العين وألوان الطعام والشراب والفاكهة واللباس وكل ذلك مما تهفوا إليه النفوس ولكن الذى يفوق ذلك كله رضوان الله والنظر الى وجهه الكريم: {ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم} كذلك صحبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

فلنبداً كل الجهد فى سبيل الله ونصرة دينه ولنتحمل كل ما نلاقى فى طريق الدعوة طمعاً فى رضوان الله ولا أنسى معنى طيباً نكّرنا به أحد الأخوة داخل السجن فى المرة الأولى عام 1948 حيث قال: سيدنا موسى عليه السلام قضى ثمانى أوعشر سنين أشغلاً صداقاً لعروسه فى الدنيا فانظروا الى الحور العين كم يكون صداقهن ؟ .

وفى ختام هذه الجولة من التفكير فى الغيب الذى ينتظرنا أحكى قصة قرأتها وهى أن أحد المسلمين كان يعصى الله ويتوب ولكنه يعود الى المعصية ويتكرر ذلك منه فشكا حاله الى أحد الصالحين فقال له ذلك الرجل الصالح إذا قدرت على خمسة أشياء فلا تشغل بالك من ناحية المعصية ؟ قال وما هى ؟ قال: إذا أردت أن تعصى الله فلا تسكن فى ملكه فقال لا أستطيع ذلك، قال ما الثانية ؟ قال: إذا أردت أن تعصى الله فلا تأكل من رزقه ؟ قال: إذن أموت جوعاً، قال: ما الثالثة ؟ قال: إذا أردت أن تعصى الله فاعصه فى مكان لا يراك أحد فيه قال لاتخفى عليه خافية قال تسكن فى ملكه وتأكل من رزقه وتعصيه مواجهة هذا منتهى الجحود، قال: ما الرابعة ؟ قال: حينما يأتيك ملك الموت أطلب منه أن يتركك حتى تتوب توبة نصوحاً، قال: لا يستجيب لى قال إذن لماذا لا تسارع بالتوبة النصوح، قال: ما الخامسة ؟ قال حينما تساق الى جهنم فلا تذهب معهم ، قال هذا مستحيل . ثم تاب هذه المرة وكانت توبة نصوحاً لم يعد بعدها .

والذى حدث أن معانى الإيمان بالله واليوم الآخر كانت خامدة فى نفسه وأيقظها الرجل الصالح فى نفسه بهذا الأسلوب فكان لها أثرها فكانت توبة نصوحاً .

ونرجو أن يكون لما مثل هذا التأثير بتفكرنا الذى سقناه وبالله التوفيق .

وفى السيرة العطرة زاد

إن الدعاة الى الله اليوم والسالكين طريق الدعوة يجدون فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير زاد على الطريق وذلك لأسباب كثيرة منها:

أن طريق الدعوة الذى نسير عليه هى نفس الطريق التى سار عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته من قبل، ولأننا نعيش مرحلة كبيرة الشبه بالمرحلة الأولى للدعوة ... فالإسلام عاد غريباً والجاهلية عادت تهدد مجتمعاتنا ، والداعية الى الله يضيق عليهم ويضطهدون ويعذبون، وأعداء الله يكيدون ويتربصون، وهذا يؤكد ضرورة تزودنا مه السيرة بكل ما فيها من مواقف وأحداث، خاصة وأن الرائد والقائد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خير قدوة لنا كما قرر الله عز وجل: {لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كنتم كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً} .

كما أن السائر معه على طريق الدعوة هم الصحابة رضوان الله عليهم الذين قامت على كواهلهم الدولة الإسلامية الأولى، وهم كالمصابيح بأيهم اقتدينا واهتدينا .

ولذلك فإن السيرة تمثل فترة زاهرة وزاخرة بكل معانى الخير ، فهي فترة تنزل فيوضات الله ورحماته وأنواره للبشرية كلها عن طريق نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك كله فالسيرة تمثل التطبيق الأول والصحيح للإسلام فى حياة الناس .

كل ذلك يحتم علينا دراسة السيرة دراسة عمل واقتداء وتعرف دقيقى لكل ما تعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته من مواقف وأحداث وكيف كان سلوكهم وتصرفهم إزاءها لنأخذ القدوة والعبرة والزاد .

وغنى عن البيان أن القدوة العملية لها تأثيرها الفعال فى النفوس أكثر من الموعظة المجردة وفى هذا خير زاد على الطريق . ولن نستطيع أن نحيط بكل ما فى السيرة مه عظات وعبر ودروس ولكن سنعرض بعضها على سبيل المثال ونؤكد على ضرورة دراسة السيرة ولا نقول قراءة السيرة .

إن من أول وأهم ما يتزود به من السيرة ونحتاجه على طريق الدعوة الإعداد النفسى والزاد الروحى فذلك خير عون للقيام بمتطلبات الدعوة والتغلب على العقبات والصعاب والتحرز من المنعطفات والانحراف، ونرى ذلك فى إلهام الله لرسوله قبل البعثة بالتحنن فى الغار الأيام والليالي الطوال، كما يتمثل فى توجيه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بقيام الليل: {يا أيها المزمّل قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أورد عليه ورتل القرآن ترتيلاً إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً} فالتقرب الى الله وإحسان الصلة به خير زاد على الطريق .

كلما قرأنا ما تعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنوف الإيذاء وصبره وتحمله مع حرصه على هداية قومه أخذنا بالزاد والقوة للسير بالدعوة واحتمال كل أذى، كما أن فى استشهاد ياسر وسمية تحت التعذيب وثبا بلال زاداً ووقوداً للأجيال على مرّ الأزمان والعصور، وتثبيتاً لهم على الحق .

انظر يا أخى الى الأثر العميق الذى يحدثه فى نفوسنا ذلك الموقف العظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقولته الخالدة عندما عرض عليه المُلْكَ والجاه والسيادة فقال: (والله ياعم لووضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه) فيها تحدّ للباطل واستخفاف بكل أعراض الدنيا .

رسول الله صلى الله عليه وسلم اتهم بالكذب والسحر والجنون فصبر ولم يغضب لذلك ولكن الواقع العملى أثبت زيف هذه الاتهامات وقديماً اتهم موسى عليه السلام بالفساد وادعى فرعون أنه هو الذى يهدى الى سبيل الرشاد .

واتهم الدعاة الى الله هذه الأيام بالإرهاب والتستر وراء الدين وغير ذلك رغم أن هذه الاتهامات ثبت من قبل بصورة قاطعة زيفها وبطلانها فليصبروا ولا يهنوا ولا يستكينوا .

انظر يا أخى الى تحمل المسلمين الأول الجوع والحرمان فترة المقاطعة فى شعب أبى طالب ثلاث سنوات حتى أكلوا ورق الشجر ولم يتخلوا عن عقيدتهم وآثروا دعوة الله على كل متاع الدنيا .

كل داع الى الله يجد زاداً هائلاً فى قصة الذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف وقطع المسافات الطوال لتبليغ الدعوة وما لاقاه من إعراض وإيذاء وبعد ذلك يقول: (رب اهد قومي فإنهم لا يعلمون) .

وهذا الدعاء الذى يشكوفيه الى الله ضعف قوته وقلة حيلته وهوانه على الناس وما يحويه من معان كبيرة وعميقة من لجوء الى الله وخروج من حوله وقوته الى حول الله وقوته وأه لا يخشى إلا غضب الله عليه: (إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى) الى آخر هذه المعانى الدافعة الى الخير والى الاستمرار فى تبليغ الدعوة رغم كل الإيذاء .

وفى موقف السيدة خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير زاد وقدوة لكل أخت مسلمة كى تكون عوناً لزوجها على طريق الدعوة تؤازره وتطمئنه لاتثبطه ولا تخذله .

ومن يقرأ أحاديث الإسراء والمعراج فى السيرة يخرج منه بزاو وعبرة ودروس كثيرة تزيد الذين آمنوا إيماناً وما أشد حاجة المسلمين اليوم الى إحساسهم بمنزلة المسجد الأقصى وما حوله وما يجب علينا نحتحرير هذه الأماكن المقدسة من أيدي الصهاينة المغتصبين .

وحادث الهجرة كله دروس وعبر وزاد لا نستطيع حصرها هنا فلكل فرد اشترك أوشارك فيها مواقف ونماذج رائعة لجانب أوأكثر من جوانب الخير يقتدى به الدعاة الى الله، فاطمنان الرسول وثقتة فى ربه وحرص أبى بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفداية على ورباطة جأش عبد الله بن أبى بكر وأسماء وقيامهما بدورهما وسط هذا الجوالصاخب وكتمانهما الأمر .

ووعد رسول الله صلى الله عليه وسلم سراقاة سوارى كسرى وما فيه من ثقة بنصر الله ثم هذا الحب الدافق والشوق الكبير عند أهل المدينة الواضح من ترقبهم حضوره واحتفائهم به وغير ذلك من المعانى ذات الأثر النفسى الكبير كل ذلك يحتاجه الداعى وهو على الطريق .

وخذ العبرة يا أخى من اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم ببناء المسجد فى كل مكان يقيم فيه لنعرف أهمية رسالة المسجد ودوره فى بناء الدولة الإسلامية لكى نعمل على إعادة هذا الدور الهام للمسجد وألا يقتصر على أداء الصلوات فيه .

وثمة درس نحتاجه اليوم وهو موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من اليهود وموقفهم منه ومن دعوته، فقد حرص أول مقامه بالمدينة أن يقيم بينه وبينهم علائق سلمى وأن يؤمنهم على دينهم وأموالهم وكتب لهم كتاباً ، ولكنهم قوم غدر فما لبثوا غير قليل حتى تأمروا على قتله وكان سبباً فى غزوة بنى النضير، ثم نقضوا عهده فى أشد المواقف حرجاً يوم الأحزاب مما كان سبباً فى غزوة بنى قريظة ثم تجمعوا من كل جانب يهينون السلاح ويبيتوا الدسائس لينقضوا فى غدر وخسة على المدينة والمؤمنون مما كان سبباً فى غزوة خيبر فهؤلاء قوم لا يصدق لهم وعد ولا يستقيم لهم عهد فلنأخذ الدرس ولا ننخدع بغير ذلك .

تزود يا أخى من غزوة تبوك وانظر ما يفعله الإيمان الصادق فى نفوس المؤمنين من إثارة عزائمهم للقتال واندفاع أيديهم فى بذل المال ومن استعذابهم المر والعناء والتعب الشديد فى سبيل الله ومرضاته .

خذ الزاد من موقف هؤلاء النفر الذين جاءوا للجهاد فردهم الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه لم يجد ما يحملهم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً على حرمانهم شرف الجهاد وفرصة الاستشهاد فى سبيل الله تعالى فى حين أن طبيعة الإنسان أن يفرح لنجاته من الأخطار وابتعاده عن الحروب ولكنه الإيمان الصادق يصحح الموازين فيجعل كل موت فى سبيل الله شهادة وكل أذى فى دعوة الحق شرفاً وكل بلاء بسبب الإصلاح خلوداً .

ما أحوج من يسلك طريق الدعوة الى الزاد الذى يحصل عليه عندما يقرأ فى السيرة عن مؤاخاة الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار وما صاحبها من صور الحب والإيثار والتي عبر عنها القرآن الكريم فى قوله تعالى: (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .

وفى الغزوات زاد فنرى صوراً من الإقدام والجهاد والإنفاق والاستشهاد فى سبيل الله ... ونرى فى غزوة بدر كيف نصر الله الفئة القليلة المؤمنة على الكثرة الباغية الكافرة، ونرى فى غزوة الفتح تواضع الرسول صلى الله عليه وسلم عند النصر وعدم الغرور أوالتعالى، وفى غزوة أحد وحنين دروس وعبر كثيرة حول أسباب الهزيمة وضرورة التزام الأوامر والتعليمات، وفى غزوة تبوك دروس وعبر كثيرة فالخروج للجهاد رغم الحر والجهد وعدم الاستجابة لتثبيط المنافقين الذين قالوا لا تنفروا فى الحر، ثم فى قصة الثلاثة الذين خلفوا دروس وعبر كثيرة لأصحاب الدعوات

وفى السيرة نجد حب المسلمين الشديد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والحرص على الاقتداء به صلى الله عليه وسلم فى كل صغيرة وكبيرة ، ونرى حسن استجابة المؤمنين لكل أمر أونهى فى القرآن أو من رسول الله صلى الله عليه وسلم دون تردد كما حدث عند تحريم الخمر وعند نزول آية الحجاب للنساء .

ولالأخت المسلمة زاد كبير من خلال السيرة وعلى سبيل المثال موقف نسيبة أم عمارة الأنصارية رضى الله عنها فى غزوة أحد حينما جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقع وتكاثر عليه المشركون يريدون قتله فثبت وثبت معه نفر من المؤمنين منهم أبودجانة رضى الله عنه تترس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحميه من نبال المشركين فكان النبل يقع على ظهره ومنهم نسيبة أم عمارة تركت سقاية الجرحى وأخذت تقاتل بالسيف وترمى بالنبال دفاعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال فى حقها: (ماالتفت يميناً أو شمالاً يوم أحد إلا رأيتها تقاتل دونى وقد جرحت يومئذٍ اثنى عشر جرحاً) .

وللشباب المسلم أن يأخذ الزاد والثقة حينما يقرأ عن بعث أسامة بن زيد رضى الله عنه وكيف يفسح الإسلام المجال لكفاءات الشباب وعبقرياتهم وتمكينهم من قيادة الأمر حين يكونون صالحين لذلك، وفى تأمير أسامة على مثل أبى بكر وعمر وعثمان

وعلى رضى الله عنهم درس وزاد ودليل على مدى التهذيب النفسى والخلقى الذى وصلوا إليه بفضل هداية الله وتربية رسول الله صلى الله عليه وسلم وإرشاده لهم .

ولكى تستفيد فائدة كبيرة من قراءتك للسيرة يا أخى اقرأها وكأنك تعيش أحداثها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته . وفى مقابل ذلك وأنت على طريق الدعوة هذه الأيام عليك أن تواجه الأحداث والمواقف متخذاً الموقف الذى يقفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته لو كانوا بين أظهرنا يقودونا على الطريق .

وفى العبادات زاد (الصلاة)

(فالعبادات تزود صاحبها بتقوى الله وهى خير زاد ... {يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون}، {يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين}، {واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين} : {إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر} ، {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} ، {خذ من أموالهم صدقة تطهره وتزكهم بها وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم } {الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب } .

هكذا نجد هذا العبادات مصادر أساسية ودائمة ومتجددة للزاد الذى يزكى النفس ويسمو بها عن جوارب الأرض ويعين على تخطى العقبات وتفادى المنعطفات .

ولكل عبادة من هذه العبادات زادها وأثرها الذى يغير زاد وأثر العبادات الأخرى من بعض الجوانب بحيث يكمل بعضها بعضاً . وكما أنها تغطى جوانب شخصية المسلم فهى كذلك تغطى أيام حياته فنجد منها المتكرر يومياً كالصلاة خمس مرات فى اليوم ومنها المتكرر شهراً كل عام كالصوم، ومنها ما يتم حسب الأحوال كالزكاة والحج حسب الاستطاعة والإمكان .

وهناك أيضاً مجال السنن والتطوع فى كل منها بعد الفرائض لكل راغب فى المزيد من الزاد والتقوى والقرب من الله ... وقد سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السنن من منطلق حبه الخير لنا .

الصلاة:

وسنحاول أن نجلى بعض صور الزاد فى هذه العبادات لعل فى ذلك ما يعين ويبسر التزود لكل راغب فى الزاد ولنبدأ بالصلاة والله الموفق والمعين .

الصلاة صلة بالله تعالى، صلة هذه النفخة فينا من روح الله بأصلها لتستمد منه الحياة والنماء ... الصلاة قرب من الله والأنس بالله ونرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ك (وجعلت قرّة عيني في الصلاة) ونجده صلى الله عليه وسلم يقوم الليل ويستغرق في صلاته حتى تتورم قدماه دون أن يشعر بالألم، فمن سما بروحه ومشاعره تضاءلت عنده متاعب الجسد والآله .

الصلاة مصدر متجدد للطاقة الروحية والزاد وقد توزعت أوقاتها على الليل والنهار لمواصلة التزود وتجديد الرصيد من الزاد وقد يسر الله أدائها حتى لا نحرم الزاد في كل الأحوال والأوقات في السلم والحرب في السفر والإقامة في الصحة والمرض وهذا من فضل الله علينا ورحمته بنا .

في الصلاة استرواح وخلوص من مشاغل الحياة وعناءها لنقف بين يدي الله في خشوع وخضوع، وركوع وسجود، نقرأ ونسمع كلام الله ونسبح الله ونعظمه ... وندعوه ونستغفره ... وكأن الصلاة معراج لأرواحنا تعرج الى الله بعيداً عن جواذب الأرض، وفتن الحياة خاصة وأن الصلاة فرضت ليلة الإسراء والمعراج .

من يقبل على الصلاة بقلب نقي ونية خالصة يفيض الله عليه من أنواره وهداياته وسكينته ورحمته بما يعين المصلي على مجابهة الحياة بكل اطمئنان واستقرار نفسي لا فزع لا قلق لا خوف لا ضعف، ويتحصن ضد الفتن والفحشاء والمنكر ونزغات الشيطان فيكون في حفظ الله ورعاة الله، شاعراً بمعية الله أينما سار وحيثما حلّ، مطمئناً الى جنب الله، متوكلاً عليه مفوضاً أمره إليه وإثقاً به كل الثقة في طاعة وتسليم والتزام كامل لكل أمر أونهى دون تردد وهكذا يعيش العبودية الحقة والسعادة التامة والرضوان الكامل ذلك لمن خشى ربه .

يشعر المصلي أنه منذ وقت قليل كان بين يدي الله وبعد قليل سيقف بين يدي الله مرة أخرى، فلا يليق أن يغفل عنه أو ينساه بين الصلاتين وهكذا يظل المحافظ على صلاته لوقتها داخل المجال التأثيري الرباني للصلاة لا يكاد يبعد عنه، فلا يتمكن الشيطان من الخلوة به والانحراف به عن الصراط المستقيم: {إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً} .

كان رسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع الى الصلاة فيجد الراحة والأمن والتوفيق والطمأنينة، وكان دائماً ما يقول لبلال رضي الله عنه: (أرحنا بها يا بلال) فالصلاة للمؤمن كالواحة الوارفة وسط صحراء الحياة ولفحها .

هذا الخضوع لله والركوع بين يدي الله في الصلاة يمد صاحبه بكل معاني العزة، فالمصلي لا يركع ولا ينحني إلا لله في إجلال وتعظيم، ولا ينحني لبشر ولا يخشى إلا الله: {الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله} وكلما عظمنا الله وقدرناه حق قدره ازدادنا إقبال على طاعته واللجوء إليه والاطمئنان الى جانبه، وازددنا نفرة من معصية الله ومخالفة أمره وفي هذا زاد .

هذا السجود لله في الصلاة من أعلى المقامات فيه العبودية الحقة والتذلل الخالص لله، فيه القرب والأنس وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش حقيقة السجود لله وتذوق لذته وما فيه من قرب من الله وسعادة روحية فكان يطيل السجود في تهجده بالليل حتى تظن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنه قبض ... وقد نبهنا رسولنا الكريم الى هذا الخير، ورغبنا فيه

فقال ما معناه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ... يستشعر المصلى هذا المعنى وهو ساجد ويحس بهذا القرب وأن هذا أشرف وأسمى وضع له فى هذه الدنيا لأنه حينئذ يكون أقرب ما يكون من ربه حينئذ تكون السعادة والزاد .

وجلسة التشهد وما تحويه من معان ومشاعر وجدانية سامية نتقرب الى الله بالتحيات المباركات والصلوات الطيبات، ونتوجه بتحية الإسلام لرسولنا الحبيب السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، ثم نعود بالسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، ثم نقرأ بالشهادتين ونصلى ونسلم على رسولنا الحبيب، ما أروعها جلسة حينما نعيشها بين يدي الله تعالى مع رسوله صلى الله عليه وسلم وحولنا عباد الله الصالحون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى ينظر إلينا ويتجلى علينا من عليانه بعين الرضا والقبول، ثم نخرج من الصلاة بعد هذه الجلسة الممتعة لنواجه الحياة بنفوس رضية هائلة .

حركات الصلاة تعود على المصلى بفائدة صحية فى بدنه .

إن التزامنا لحركات الصلاة كما علمنا إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركعة ركوع واحد وسجدتان وليس ركوعين وسجدة واحدة هذا الإلتزام فيه معنى العبودية المطلقة لله والتسليم المطلق لأوامر الله ولولم تظهر لنا الحكمة، فما طرد إبليس من رحمة الله لمجرد معصيته أمر الله بالسجود لأبينا آدم مع الملائكة ولكن لأنه اعترض على مقتضى الأمر وحكمة الله فيه، وهكذا نتعلم من الصلاة هذا المعنى السامى للعبودية لله .

إن التهيؤ للصلاة بطهارة البدن والثوب والمكان والوضوء يربى المسلم على النظافة والنقاء والذوق السليم الذى ينفر من القاذورات والنجاسات الحسية والمعنوية، وحينما تصاحب الطهارة الحسية طهارة القلب من كل ما يغضب الله فالقلب موضع نظر الله فى الصلاة فلا حقد ولا حسد ولا بغضاء ولا شحناء بينه وبين إخوانه المسلمين وهذا زاد هام وضرورى للمسلم عموماً ولسالك طريق الدعوة خصوصاً .

إن شرط صحة الصلاة بدخول الوقت والحرص على أدائها قبل خروج وقتها يعود المصلى على الدقة فى المواعيد والوفاء بها ويعود الحرس على الوقت بحيث لا يلهيه أى أمر ويشغل عليه وقته دون انتباه . فإن أوقات الصلاة تنبهه وتوقظه من غفلته، وهكذا لايسمح لأى عرض من أعراض الدنيا أن يزحم عليه وقته وفكره عن ذكر الله وإقام الصلاة والعمل والجهاد فى سبيل الله، هذه الصفات لازمة وهامة لكل من يسلك طريق الدعوة ويرتبط بالأعمال والمواعيد واللقاءات .

تحرى القبلة والتوجه إليها يعود المسلم على معرفة الاتجاهات وجغرافية المكان بالنسبة للكعبة بيت الله الحرام وفى الشعور باتجاه المسلمين فى أنحاء العالم الى قبلة واحدة يكسب المسلم الشعور بالوحدة مع إخوانه المسلمين وارتباطه بهم وهذا معنى تربوى هام يلزم تحقيقه بين المسلمين كى يستطيعوا مواجهة أعداء الإسلام، كما أن التوجه الى القبلة يلزم أن يصاحبه توجه القلب الى الله بإخلاص النية وتنقيتها من آثار الرياء أو الشريك وإخلاص الوجهة من أهم ما يلزم الداعية الى الله فى طريق الدعوة .

الاستجابة للنداء للصلاة بمجرد سماعه والتخلص من كل شواغل الدنيا فيه مجاهدة وتقوية للإرادة والعزيمة والتغلب على أهواء النفس ومطامعها وفي ذلك زاد وتربية لها أثرها العملى فى حياة الداعى الى الله وترتيب الأولويات فى المهام والأمور .
انتظام الصفوف فى الصلاة وتسويتها والتزام الإمام وعدم سبقه وكذلك الفتح عليه إذا نسى أو أخطأ كل ذلك له آثاره التربوية فى نفس المسلم فالجندية والنظام والطاعة للقيادة مع النصح والتنبيه للخطأ أمور لازمة للعاملين فى حقل الدعوة الإسلامية والمجاهدين فى سبيل الله .

الشعور بالمساواة فى صف واحد بين يدى الله لافرق فى الوقوف بين غنى وفقير، لا تعالى، لا كبر فالكل سواء بين يدى الله، بل قد يضع الغنى جبهته ساجداً لله قريباً من قدمى الفقير فى الصف الذى أمامه دون حرج أو شمنزاز، وفى هذا مجال تربوى هام وزاد ضرورى لتآلف المسلمين وتقاربهم وتقوية الصلة بينهم .

اجتماع المسلمين على الصلاة فى المسجد فى الأوقات الخمسة وفى صلاة الجمعة وفى العيدين من شأنه أن يتيح الفرصة بين المسلمين فى الحى الواحد أو البلدة الواحدة للتعارف والتآلف والوحدة والتعاون فيعطون المحتاج ويعودون المريض ويشارك بعضهم بعضاً فى أفراحهم وأتراحهم ويتعاطفون ويتراحمون فيما بينهم .

حرص المسلمين على الصلاة فى المسجد يربطهم بالمسجد ويعيد للمسجد رسالته الهامة التى كانت له فى أول الدعوة فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدبر فيه أمر المسلمين وتجييش منه الجيوش وترسم الخطط ويتدارس فيه كل ما يهم المسلمين وما أحوج المسلمين اليوم الى العودة بالمسجد الى رسالته الأولى .

هكذا نجد الصلاة كلها زاد على الطريق وكل ما يتصل بها يغذى المصلى بنوع من الزاد لازم وضرورى له .

ولا أدعى أئى أحطت بكل ما فى الصلاة من مصادر وينابيع الخير والزاد ولكن هذا جهد المقل ونسأل القبول والإخلاص .

وفى العبادات زاد (الصوم)

ذكرنا أن العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج تعتبر مصادر هامة ومتجددة للزاد على الطريق، وقد حاولنا توضيح ذلك بالنسبة للصلاة ، وها نحن نحاول ذلك بالنسبة للصوم بعون الله يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ فالصوم يلبس صاحبه لباس التقوى وهوجنة وحصانة للصائم من الشرور والفتن، ويتميز الصوم من بين سائر العبادات بخاصية النسبة الى الله تعالى ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له إلا لصوم فإنه لى وأنا أجزى به، والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم ، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقى ربه فرح بصومه) متفق عليه .

وقد ارتبطت فريضة الصوم بشهر رمضان ، وإذا ذكر رمضان فكأنما تذكر جنة فيحاء يمر بها المسلم وهو يسير وسط صحراء الحياة ولفحها وفتنها ، وإذا كان الصيام كله زاداً وخيراً فكونه في شهر رمضان من شأنه أن يضاعف هذا الزاد ويزيد الصيام بها خيراً، فقد خصَّ الله شهر رمضان بخير كثير يجعلنا لو علمنا هذا الخير لتمنينا رمضان السنة كلها ، ففيه نزل القرآن: {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان} وفيه ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر . وفيه تفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار وتصفد الشياطين وفيه يضاعف الأجر وفيه الاعتكاف والقيام ، وهكذا يستقبل المسلم الصادق شهر رمضان بالفرح والسرور، فرح المؤمنين بفضل الله ورحمته يستروح فيه من عناء الحياة ويتزود ويجدد نشاطه كي يواصل السير على الطريق ولا يستمتع بذلك الخير ويحصل على ذلك الزاد إلا من عاش رمضان وأدى الصوم كما أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ففي شهر رمضان يزداد إقبالنا على القرآن تلاوة وممارسة وحفظاً ونقوم به الليل فننهل بذلك من معين لا ينضب نوراً وحكمة وهداية وموعظة وشفاء لما في الصدور وفي ذلك زاد أي زاد .

وفي شهر القيام يؤدي الصائمون القيام كل ليلة شهراً كاملاً وفي ذلك زاد مكثف وتطويع للنفس على العبادة والصبر عليها وتذوقها ومداومة الصلة والقرب من الله والخضوع والخشوع له .

وفي شهر رمضان يسن الاعتكاف، وللاعتكاف آثاره وانطباعاته على المعتكف فهو يعيش فترة في ضيافة الله في بيت الله وقد خلص من مشاغل الحياة وتفرغ لطاعة الله والتقرب الى الله بالذكر والصلاة والدعاء والمناجاة وقراءة القرآن والاستغفار والتوبة والبكاء من خشية الله، وهكذا يكرم الله أضيافه فيفيض عليهم بأنواره وهدايته ويخرجون مزودين بزاد من التقوى والإيمان والرشاد، وفي وسط آيات الصوم تجد قول الله تعالى: {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون } .

والصوم يكسب الصائم صفة الإخلاص لله وحسن مراقبته لأنه سرّ بين العبد وربّه، والإخلاص لله من أعظم وألزم الزاد لكل مسلم على طريق الدعوة، فلا خير من عمل أوجه إذا خلا من الإخلاص لله سبحانه فالله غني عن الشركة ولا يقبل إلا العمل الخالص لوجهه .

والصوم فيه مجاهدة لرغبات النفس والجسد، وفي ذلك تقوية لإرادة المسلم، وهذا زاد لازم ضروري للداعي الى الله والمجاهد في سبيل الله .

فالصائم يكبح جماح نفسه وشهواته على الحلال فترة من اليوم طوال الشهر أداءً لعبادة الصوم، وفي ذلك عون له على أن يمتنع عن الحرام باقي الأوقات .

الصوم يكسب الصائم فضيلة الصبر وهى من ألزم الصفات للدعاة الى الله فيعينهم الصبر على تخطى العقبات ومواصلة السير على طريق الدعوة دون وهن أو ضعف أو استكانة: ﴿فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين﴾ فلا يثنيهم وعيد أو تهديد أو إيداء أو تشريد .

الصوم يربى الجوارح ويهذبها شهراً كاملاً فتعتاد ذلك فلا يقتصر الصوم على شهوتى البطن والفرج، ولكن الصوم الصحيح أن تصوم الجوارح كلها عن كل ما حرم الله، فالعين والأذن واللسان واليد والرجل بجانب الفم والفرج، وهذا جانب تربوى هام فى شخصية المسلم .

الصوم يكسب صاحبه فضيلة الحلم على الجاهلين، فإذا خاصمه أحد أو سابه أو استثاره يكظم غيظه ويحكم ويقول إنى صائم إنى صائم . وما أحوج الداعين إلى الله الى هذا الخلق من ضبط النفس وسعة الصدر وعدم الغضب للنفس وفى هذا كسب لصالح الدعوة: ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ وفى هذا أيضاً توفير للوقت والجهد لصالح الدعوة والإنتاج بدلاً من تضییع الوقت والجهد نتيجة الغضب فى جدال وخلافات وتحقيقات ومصالحات ويكون الضحية الدعوة والإنتاج والعمل لها، وصدق الله العظيم: ﴿ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هى أحسن﴾ .

الصوم يربى فى قلب الصائم العطف على الفقير والمحتاج حينما يشعر بألم الجوع فيسارع الى مد يد العون له وجاءت زكاة الفطر لتؤكد هذا المعنى وتذكّر به وهذا جانب تربوى هام ويلزم أن يسود بين المسلمين .

أثناء الصيام وخلو المعدة وتخفيفها من الطعام تسمو الروح ويصفو القلب وتزول الحجب وجوانب الأرض، فيكون الصفاء والإشراق ويشع نور الحق فى القلوب فيضيئها وتتهيا النفس للتركيز بالذكر وتلاوة القرآن والاستغفار والتوبة والدعاء وتكون السعادة الحقة والمتعة الروحية والشعور بالقرب من الله ويؤكد هذا المعنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع) متفق عليه .

الصوم وخاصة أيام الحر الشديد يهيىء المسلم للصبر والتحمل فى ميادين الجهاد والقتال ومجالد الأعداء أو ما قد يمر به من ظروف قاسية فى مجالات الدعوة وميادينها ولا تكون جوانب الأرض ومطالب الجسد معوقاً له أو مقعدة عن مواصلة السير .

الصوم يعلم الصائم ما يفرح له المؤمن من توفيق الله وعونه لأداء العبادة والإخلاص لله حينما يذكرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن للصائم فرحتين إذا أفطر فرح ، وإذا لقي ربه فرح بصومه: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ وفى هذا تصحيح لتصورات خاطئة عند الكثير عندما يفرحون لأعراض الدنيا حينما تقبل عليهم ويحزنون عند افتقادها .

الصوم يدعم معنى الجماعة فى نفس الصائم، فالمسلمون فى أنحاء العالم يصومون فى شهر واحد ويحسون أن ما فيه من خير بسبب الصوم، وشهر رمضان يشاركون فيه إخوانهم فى جميع أنحاء العالم على اختلاف أجناسهم وألوانهم والشعور بوحدة المسلمين أمر هام ولازم خاصة لأصحاب الدعوات .

ولما فى الصوم من خير سنّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صيام أيام غير الفريضة على مدار العام رغبتنا فى ذلك من منطق حرصه صلى الله عليه وسلم وحبه الخير لنا .

وإذا كان من رحمة الله بنا وحبه الخير لنا يسر لنا الصلاة فى السفر والمرض والحرب ولكنه خففها بعض الشيء علينا حتى لا تحرم خيرها وزادها فإنه سبحانه من منطق رحمته بنا وكى لا يشق علينا رخص لنا فى الصوم بالقضاء أو الفدية فى السفر أو المرض .

الصوم يربط المسلم بهذا الكون وما فيه من أقمار ونجوم حين يتحرى أول الشهر ويبحث عن الهلال فى أول رمضان وأول شوال ويتحرى مطالعه ويتعرف على هذا الجانب من خلق الله وما فيه من دلالة على عظمة الله وقدرته .

الصوم يعود المسلم على الاهتمام بالأوقات والدقة فى المواعيد فكل صائم يتحرى وقت الإمساك ووقت الإفطار ويدقق فى ذلك حتى لا يبطل صومه بسبب الإهمال أو عدم الدقة وتكرار ذلك كل يوم لمدة شهر يكسب صاحبه هذه الخاصية وما أحوج الداعين الى الله إليها فى حياتهم بالدعوة ولقاءاتهم وعملهم بما لا يتسبب فى تعطيل أمر هام أو ضياع أوقات غيرهم دون فائدة .

الصوم مع ذلك كله له آثاره الصحية المباركة على الجسد وقد كشف الطب الحديث هذه الحقيقة أخيراً ولجأت بعض المصحات الى الصوم كوسيلة فعالة فى علاج كثير من الأمراض .

كل هذا الزاد وهذه الآثار التربوية فى الصوم وشهر رمضان سهلة المنال لمن صدق النية وصام كما يريد الله لنا أن نصوم وكما علمنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم .

أما مانراه اليوم عند كثير من المسلمين حيث تحول الشهر الصوم الى شهر التخمّة والإكثار من ألوان الطعام بدلاً من الجوع والإقلال من الطعام، ومن تحول شهر العبادة والقيام والقرآن الى شهر السمر واللهو وأنه فرصة الفنانين والفنانات ليقوموا بإحياء ليالى رمضان بفسادهم وإفسادهم، وهذا الحشد من المنكرات أقول إن هذا كله تشويه لحقيقة رمضان وحال لا يرضى عنها الله ولا رسوله ويلزم العمل على تصحيحها .

وأخيراً أسأل الله أن ينفعنا بخير رمضان وزاد الصيام وما ذكرته ليس إحاطة بالموضوع ولكن بعض جوانبه نفعنا الله بها .

وفى العبادات زاد (الزكاة)

(الزكاة كما هو واضح من اسمها تزكية للنفس وسموبها عن جواذب الأرض وتطهر من الدنس والأوزار والله سبحانه وتعالى قرر ذلك فى قوله تعالى: {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّهم بها} وتزكية النفس وتطهيرها زاد عظيم وفلاح كبير: {قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها} فالزكاة والصدقات والإنفاق فى سبيل الله عموماً تعبد وتقرب الى الله وفى الوقت ذاته زاد روحى وتربوى هام)

الإنسان فى فطرته حب المال وحب التملك، والقرآن يقرر ذلك: {وتحبون المال حباً جماً} وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه أولوكان لابن آدم واد من ذهب لتمنى أن يكون له واد آخر وما يملأ عين ابن آدم إلا التراب) وفى فطرة الإنسان الشح: {إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً } {ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون} ولذلك نرى هذا التكالب من الناس على أعراض الدنيا واقتتالهم عليها وهذه الأنانية وهذا الصراع بين الناس بعضهم البعض والحقد والكراهية والحسد والأنانية الى مستوى الحيوانية إذا خلا المجتمع من معانى الإيمان .

ولكن إسلامنا العظيم يهذب ذلك كله ويسمو بنفوس المسلمين ويعالج ارتباطهم بالمال وأعراض الدنيا، فيعلم المسلم أن المال مال الله فى يده وأنه عرض زائل يستعين به لأداء رسالته فى الحياة وهى عبادة الله، وأن الله يقسم الأرزاق بحكمته وعلمه وأن الإسلام ينظم توزيع المال بين الناس وتكافلهم بطريقة لا نظير لها ولا مثيل بما يحقق الحياة الطيبة الكريمة الخالية من الشحناء والبغضاء والحسد والكراهية بل يعمها الحب والإيثار والفتاعة والرضا والرحمة والشفقة، وكما يضع العقوبة الزاجرة لمن تسول له نفسه بعد ذلك أن يعتدى على حقوق الغير .

كما رسم الإسلام الطريق للكسب والإنفاق .

وسنعرض هنا بعض الزاد النافع المتصل بالزكاة والإنفاق فى صورة نقاط وبالله التوفيق:

- فى إخراج الزكاة والإنفاق فى سبيل الله تطويع للنفس وترويض لها على مغالبة حب المال والتعلق به وحث على العطف على الفقراء والمحتاجين وكذلك الشعور بالمشاركة فى أمور الأمة الإسلامية ، والدولة الإسلامية والجهاد فى سبيل الله ولذلك كله أثره فى بناء شخصية المسلم الحق المتكاملة النافعة وما أحوج أصحاب الدعوات لهذه المعانى .

- من يمثل أمر الله بإخراج الزكاة والصدقات والإنفاق فى سبيل الله يشعر أن المال مال الله وأنه يتصرف فيه حسب أوامر وتعاليم صاحبه سبحانه وأنه لا يحل له أن يخالف هذه التعاليم فى جمعه وصرفه .

- المسلم ينظر الى المال على أنه وسيلة يستعين بها على طاعة الله وأن جمعه ليس غاية، وبهذا يظل المال فى أيدينا نستخدمه ونستعين به ولا يدخل الى قلوبنا ويستحوذ عليها ويسخرنا له ويستخدمنا لجمعه وحراسته وتنميته ويصير شغلنا الشاغل: {ألهكم التكاثر حتى زرتم المقابر}: {ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالاً وعدده يحسب أن ماله أخذه كلا لينبذن فى الحطمة} .

- الزكاة تعلم المسلم أن هذا التفاوت فى الأرزاق من صنع الله وتقديره لحكمته ... فهو بعباده خبير بصير ولكى تسير الحياة بين الناس فى تعاون ويخدم بعضهم بعضاً: {الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر}، {أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون} .

- المؤمن الصادق يعتقد أن ما حصل عليه من مال إنما هو من فضل الله وليس بمقدرته الشخصية وعلمه كما قال قارون إنما أوتيته على علم عندى .

- المؤمن يرضى بما قسمه الله له من رزق فالله بعباده خبير بصير: {ولوبسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير} .
- الزكاة تربي فى نفس المزكى الثقة المطلقة بالله والثقة بما عند الله أكثر من الثقة بما فى يده، فظاهر الأمر أن الزكاة أخذ من المال أو انتقاص له ولكن المزكى يثق بعكس ذلك ... وكما أن الربا ظاهره زيادة فى المال ولكن فى حقيقته محق له وتدمير وإهلاك وذلك مصداقاً لقول الله تعالى: {وما أوتيتم من ربا ليربوفى أموال الناس فلا يربوعند الله، وما أوتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون} وكذا إنذاره بحرب من الله ورسوله لمن لا يترك الربا .
- الزكاة تدفع المسلمين لاستثمار أموالهم بما ينفع المسلمين بدلاً من تعطيلها، وفى ذلك نماء وقوة للإسلام والمسلمين ودفعاً إليهم لاستعمار الأرض والإفادة من نعم الله وعدم تحكم غيرهم فى اقتصادهم . .
- غير المؤمنين مقياسهم المال ويقدرّون الناس بقدر ما عندهم من مال ولو كانوا ضالين مفسدين، ولكن المؤمنين مقياسهم ربانى: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم} وينزلون المال قدره المناسب على أنه عرض زائل وليس من مقومات الشخصية .
- غير المؤمنين يفرحون فرحاً شديداً عندما يقبل عليهم المال وأعراض الدنيا وقد يكون فى هذا الإقبال هلاكهم وزيغهم ويجزعون جزعاً شديداً عند إدبار الدنيا والمال عنهم، وقد يدفع هذا الجزع بعضهم الى الانتحار .
- أما المؤمن فحاله متقارب عند إقبال الدنيا أو إدبارها فلا يفرح بما آتاه، ولا يجزع أو يأسى على ما فاتته فيطمئن الى أن هذا هو قدر الله وقدر الله له خير ... ويكون فرح المؤمن بفضل الله ورحمته وتوفيقه وهدايته: {قل بفضل الله وبرحمته هو خير مما يجمعون} .
- المال يمكن أن يكون وسيلة لجلب الخير والثواب العظيم إذا جمع من حلال وأنفق فى سبيل الله وأدى حق الله فيه ويمكن أن يكون وسيلة شر وجلب لغضب الله وعذابه فى الآخرة إذا لم يتجه صاحبه الطرق الحلال فى جمعه ولم يؤد حق الله فيه .
- هؤلاء الذين يحرصون على المال وعلى جمعه واكتنازه يخطئون الطريق فالمحافظة الحقيقية للمال تكون بانفاقه فى سبيل الله، وتنميته تكون بذلك أيضاً ... فالله تعالى يقول: {مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم} ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس لك يابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفانيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت) .
- المزكى يشعر أن ما يعطيه للفقير المحروم ليس تفضلاً منه ولكنه حق معلوم قسمه الله لهذا الفقير أجراه الله على يديه وكان من الممكن أن يتبادل المراكز مع هذا الفقير ويكون هو المتصدق عليه والفقير هو المزكى .
- القرآن يحثنا على عدم إبطال ثواب الصدقات باليمن والأذى والرياء وفى هذا جانب تربوى هام ينمى الإخلاص لله سبحانه وتعالى وكف الأذى عن الناس والحث على المودة والرحمة : {يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى كالأذى ينفق ماله رئاء الناس} بل يريد وجه الله فقط .

- الله طيب لا يقبل إلا طيباً والقرآن يحثنا على الإنفاق من الطيب الذى نحبه ولا نقدم الخبيث وهذا جانب تربوى هام فيه مقاومة للأنانية وحب النفس: {يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيهِ إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد} ، {لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون} .

- ما أجمل أن تسمو مشاعر المتصدق فيحس أن حاجته للفقير ليتصدق عليه أشد من حاجة الفقير إليه، ذلك أنه أشد حاجة الى الحسنات وثواب الله يوم القيامة من حاجة الفقير الى المال فى الدنيا ... يحتاج الى ثواب الله لينجيه من العذاب ويدخل جنة الله، ولهذا فعليه أن يسعى هو الى الفقير لا ينتظر شكراً من الفقير بل عليه هو أن يشكر الفقير الذى أتاح له فرصة زاد ينفعه فى الآخرة .

يخطئ الكثيرون عندما يقيسون نعم الله بما يدخل فى جيوبهم من راتب أودخل وينسون نعم الله عليهم من سمع وبصر وعقل ونطق وغير ذلك وكأن ذلك حق مكتسب ليس لله فيه فضل عليهم، فما أجدرنا أن نصح هذه النظرة ونحس بفضل الله ونعمه علينا وأننا لوخيرنا بين أى نعمة من هذه النعم وبين قناطر من الذهب ما رضينا بديلاً عنها .

المزكى أو المتصدق يلزم أن يشعر أنه حينما يعطى الفقير إنما يقدم هذا العطاء لله: {ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات} وقد تذوقت السيدة عائشة رضى الله عنها هذا المعنى من هذه الآية فكانت تنظف وتجلى درهم الصدقة .

- إن المؤمن الحق ليستحى من الله المنعم المتفضل وهو يدعو المسلمين الى الإنفاق فى سبيل الله فى صورة طلب قرض: {من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة}، فمن تذوق هذه الآية حق التذوق لا يملك إلا أن يستجيب مقدماً كل ما يملك فى حياء وخشوع .

- ما أجدرنا أن نفتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته فى الجود والإنفاق فقد كان صلى الله عليه وسلم أجود من الريح المرسلة ، وكان أجود ما يكون فى رمضان، وخرج كثير من الصحابة عن أموالهم فى سبيل الله ولجيش المسلمين ويروى أن أحد الصحابة كان ينفق بسخاء فراجعته فى ذلك بعض القريبين منه فقال لهم عودت خلق الله عادة وعودنى الله عادة وهى الكرم فأخشى أن أغير عادتي مع خلقه فيغير عادته معي .

- أسلوب القرآن يحث على المسارعة بالإنفاق قبل فوات الأوان بالموت وهذا جانب تربوى هام ينمى صفة المسارعة الى الخيرات: {أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون}: {أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون} .

- إن شمول فريضة الزكاة لكثير من أنواع الثمار والمحاصيل والحيوانات وغيره فيه معنى مشاركة الفقير لكل هذه الأنواع وعدم حرمانه من شئ منها بسبب فقره .

وهكذا نجد الزكاة والإنفاق كله دروس وزاد لمن أراد أن يتزود .

ولا أدعى أنى أحطت بالموضوع كاملاً وللمستزيد أن يستزيد وبالله التوفيق .

وفى العبادات زاد (الحج)

{الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله} .

زاد الحج زاد مكثف وفير يكرم الله به زوار بيته الحرام، فالفيوضات الربانية أثناء فترة الحج وفى الأماكن المقدسة وعند أداء هذه الشعائر فيفيضات غامرة من النور والهداية والتقوى والرحمة والسكينة، خاصة إذا كان جهاز الاستقبال وهوقلب الحاج سليماً نقياً نظيفاً مخلصاً الوجهة لله، فالمشاعر الوجدانية التى تتملك الحاج قبل سفره من رغبة ملحة وشوق كبير لأداء فريضة الحج وزيارة بيت الله الحرام وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم والتى تزداد أثناء السفر، ثم اللحظات التى يقع فيها البصر لأول مرة على الكعبة المشرفة، ما أعظمها وأروعها من لحظات فكأن شحنة روحية تدفقت على القلب الحاج فملأته خشية وخشوعاً لله وتعظيماً ومهابة لبيت الله الحرام، وعند استلام الحجر الأسعد يمين الله فى الأرض، وعند الوقوف بأعتاب الكعبة عند الملتزم حيث تسيل العبرات وتذرف دموع الخشية والضراعة والتوبة والندم، وهناك أيضاً على عرفات الله وعلى جبل الرحمة فيض غامر، الجميع فى صعيد واحد يجأرون إلى الله بالدعاء وقد أتوا من كل فج عميق، والحج عرفة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكون إكرام الله لزوار بيته فلا يردهم خائبين، فيقبل توبة التائبين واستغفار المستغفرين ودعاء الداعين وتنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة وتغمر قلوبهم بنور الله وتقوى الله وتكون السعادة الحقة التى تذكر بسعادة أهل الجنة .

زاد الصلاة والصوم والزكاة يتجدد ويتكرر لأن هذه العبادات تتكرر مع الأيام والأشهر والأعوام، ولكن لما كانت فريضة الحج هى فريضة العمر تسقط بأدائها مرة فكأن الله سبحانه وتعالى كرماً منه وفضلاً قد خصها بهذا الفيض الغامر والزاد الوفير الذى يفيد صاحبه بقية حياته ويجعله يعود نقياً كيوم ولدته أمه وكأنه حط عن كاهله أحمالاً وأوزاراً ثقيلة .

-إن الحاج من وقت خروجه من منزله لأداء فريضة الحج يعيش فترة خالصة لله خالية من مشاغل الدنيا يعيشها بوجدانه ومشاعره وكيانه كله بقلبه وعقله وجسده وجوارحه وحواسه ونفسه وخلجات قلبه ويبذل فيها وقته وجهده وماله وكل ما يملك، وهكذا يطوع كل هذه النعم لله ولطاعة الله بعيداً عن معصية الله وفى هذا التطوع زاد كبير وتربية وتهذيب يمتد أثرها فى حياته بعد ذلك .

إن توقف وجوب فريضة الحج على شروط توافر الاستطاعة له تأثير غير مباشر على المسلم الصادق أن يجعله يراقب حاله دائماً ويراقب الله فى تحديد وقت توافر هذا الشرط فلا يتراخى ولا يتردد فى السعى لأداء الفريضة بمجرد توافر الاستطاعة لأنه لا يضمن امتداد أجله، وإلا لتعرض لعذاب الله ويكون مثله كمن ترك الصلاة تراخياً أوحلَّ عليه شهر رمضان ولم يصم أووجب عليه الزكاة ولم يؤدها .

- إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً فمن ينوى أداء فريضة الحج لابد وأن يتحرى فى كسبه الحلال الطيب بعيداً عن الحرام أو ما فيه شبهة وفى هذا أيضاً جانب تربوى هام فى حياة المسلم .

- ما أشبه الحاج الذى يخرج من بيته وقد اغتسل ولبس ملابس الإحرام وخرج من مشاغل الدنيا ليخلص بقلبه لله وترك الأهل والمال والولد خلفه، ما أشبهه بمن يخرج من الدنيا عند لقاء الله، فالأغتسال يقابله التمسيل وملابس الإحرام تقابل ملابس التكفين والخروج من مشاغل الدنيا يقابله الخروج الجسدى من الدنيا، وتوديع الأهل وترك المال والولد أمر مشترك فى الحالين، فما أجمل أن يتذكر الحاج هذا المعنى ويأخذ العبرة والعظة، ويستعد للقاء الله على طهر ونقاء ، فيرد المظالم ويقضى الديون ويطلب الصفح ممن أساء إليه ويتوب الى الله فربما لقي الله فى سفره هذا، وبهذا يبدأ رحلته بدءاً طيباً كريماً .

- صلى عليك الله ياسيدى يارسول الله علمتنا دعاء نقوله عند السفر لوعشنا ما يتضمنه من معان بحق لخرجنا بزيادة تربوى كبير: (اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى) توجيه النية والقصد الى البر والتقوى والعمل الصالح وأن الهدف هو رضوان الله وسؤال ذلك من الله فيه شعور وإقرار أن هذا لا يتحقق إلا بتوفيق الله وإرادته، والفقرة التالية من الدعاء: (اللهم أنت صاحب فى السفر والخليفة فى الأهل والمال والولد) ما أعظم أثر هذا الدعاء فى نفس المؤمن يشعر بصحبة الله ومعيته فى السفر، فهو فى حفظ الله ورعاية الله وضمان الله، ثم الاطمئنان أن الله هو الخليفة فى الأهل والمال والولد فلا قلق ولا انشغال على شىء من ذلك .

هكذا يتحقق التفويض لله وجميل التوكل عليه بصورة عملية واقعية، ثم الفقرة التالية: (اللهم هون علينا سفرنا هذا واطوى عنا بعده) لجوء الى الله فى تيسير السفر وتخفيف مشاقه، فالأمر كله لله ولا يظن أحد أن هذا التيسير كامن فيما أخذ من أسباب كطائرة أو سيارة ولكن لاسهل إلا ما جعله الله سهلاً، فقد نصير السيارة سبب مشقة لا سبب راحة إن أمسك الله رحمته ووكّلنا لأنفسنا، ثم الفقرة التالية: (اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى الأهل والمال) شعور بالعجز ولجوء الى الله واستعاذة به مما يتعرض له المسافرون أحياناً من متاعب وأخطار فى السفر أوفى أهلهم وأموالهم عند عودتهم إليها .

- ليستشعر الحاج عند بدء السفر أنه يبدأ رحلة فى ضيافة الرحمن وأن من معه من ركب كلهم ضيوف الرحمن وزوار بيته الحرام فيطمئن أنه فى حفظ الله ورعايته ويتعامل مع ضيوف الرحمن بكل رفق ولين وتسامح وحب وتعاون، يعين الضعيف والمريض ويقضى حاجة المحتاج: {فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج} وترويض النفس على ذلك طوال الرحلة زاد تربوى ضرورى للمسلم فى حياته ولازم للدعاة الى الله على وجه الخصوص .

- والدعاء المتبادل عند توديع الأهل والأصحاب عند السفر الذى أرشدنا إليه رسولنا الكريم فيه خير كبير ومعان تربوية هامة: (استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك) هكذا يقول المقيم للمسافر ، ويقول أيضاً: (زدك الله بالتقوى) ويقول أيضاً: (لاتنسنا يا أخى من دعائك) قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه عند سفره ... ويقول المسافر للمقيمين: (أستودعكم الله الذى لاتضيع ودائعه) موقف كله ذكر لله وافتراق على الله وفيه التواصى بالحق والثبات على الأمر والحرص على حسن الخاتمة، عاطفة وحب للخير متبادل لانجده إلا بين المسلمين .

- اختيار أمير للركب فيه امثال لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقيق لمعنى الوحدة والنظام واجتماع الكلمة وحفظ من الشيطان ببركة الجماعة، وهذا جانب تربوى هام خاصة لأصحاب الدعوات السائرين على طريق الدعوة .
- وهذا الدعاء عند ركوب الدابة أو وسيلة السفر إذ يسمى الله أولاً وعندما يركب يقول الحمد لله ويكبر ثلاثاً وإذا استوى يقول: (سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا الى ربنا لمنقلبون) وفى ذلك تذكير لفضل الله فى تسخير هذه الوسيلة ولا يرجع الفضل لصانعى الطائرة أو السيارة وحدهم فالفضل أولاً وأخيراً لله هو الذى سخر لهم المواد لصنعها ورزقهم العقل الذى يفكرون به .
- التلبية وما تحمل ألفاظها من معانى الاستجابة لداعى الله وما فيها من تنزيه عن الشرك وأن الحمد له وحده والنعمة والملك له وحده، ثم إن تكرارها باللسان وانشغال القلب بها فى تأكيد وتثبيت لمعانى الإيمان والتوحيد والشعور بفضل الله وفقرنا إليه: (لبيك اللهم لبيك ... لبيك لا شريك لك لبيك ... إن الحمد والنعمة لك والملك ... لا شريك لك) .
- واستبدالها بالسلام عند لقاء الحجيج بعضهم البعض فيه تذكير وتأكيد للاجتماع على عقيدة التوحيد والشعور بالمشاركة فى هذه العبادة الجماعية .
- كلما سما الحاج بأرواحهم ... قلَّ شعورهم بالتعب الجسماني بل تذوقوا لهذا التعب طعماً آخر غير التعب إذ يكون مصدراً لثواب الله ورحمته .
- كلما اقترب الحاج من بيت الله الحرام ... ازداد شوقهم وتعلقهم به كتأثير المغناطيس يشتد جذبته بالاقتراب منه وهذا أمر أودعه الله قلوب عباده المخلصين، وفى ذلك دلالة على حب الله لهؤلاء العباد الذين حُبب إليهم زيارة بيته الحرام إن شاء الله .
- عندما يقع بصر الحاج أول مر على الكعبة المشرفة يتملكه شعور بالمهابة والتعظيم وروعة المشهد وحال من التأثير والرهبة الممزوجة بالفرح والسرور والوصف هنا لا يكفى ولكن من ذاق عرف ... ثم هذا الدعاء المأثور وما فيه من خير: (اللهم زد هذا البيت تشريقاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة، وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريقاً وتكريماً وتعظيماً وبراً) (اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام) .
- رحلة الحج ليست كغيرها من الرحلات إنها ليست رحلة بالأجساد الى مكة حيث الكعبة وجبل عرفات، إنها رحلة ربانية، رحلة نورانية، رحلة قلوب وأرواح تسعى الى خالقها، فتتصل بأصلها وتستمد القوة والحياة والسعادة وتتزود بالتقوى خير زاد .
- إن هذا البيت الحرام ليس كغيره من البيوت وإن كان من حجارة متشابهة إنه بيت اله الحرام، وهذا الجبل ليس كغيره من الجبال، وإن كان من نفس مكونات الجبال لقد خصهما الله بأسرار وفيوضات وتأثير وتجليات كما خص سبحانه القرآن كلامه العظيم بأسرار وإعجاز وتأثير ، وإن كان من ألفاظ وحروف مثل التى نتكلم بها ، وهذا فضل منه ورحمة بنا وتيسير ، فإننا لا نقوى على تحمل كلام الله على حقيقته مباشرة: ﴿لَو أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ كما أننا لا

نستطيع تحمل تجلى الله: {فلما تجلى ربه للحبل جعله دكاً وخرّ موسى صعقاً} فيسر الله لنا زيارته والقرب منه ومناجاته والنيل من فيوضاته بزيارة بيته الحرام الذى تجلى عليه وخصه بفيضات وأنوار تنعكس علينا بالقدر الذى نتحملة .

وعلى قدر تهيو القلوب التى تخشى ربها على قدر استقبالها لهذه الأنوار والفيضات الربانية كما هو الحال مع كتاب الله: {الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله} . فيا أخى عش رحلة الحج من خلال هذه النظرة الربانية كرحلة حياة للقلوب والأرواح، لا من خلال النظرة الجسدية الحسية فينشغل القلب بالله والقلب منه التزود من فضله وإحسانه ورحمته فيتحقق لك الحج المبرور والزاد الموفور والذنب المغفور وتعود طاهراً نقياً كيوم ولدتك أمك .

- وبهذه النظرة تعرف سر تلك المشاعر والأحاسيس الغامرة التى هى مزيج من أحاسيس الخشية والمهابة والفرح والسعادة عند وقوع بصرك على الكعبة المشرفة لأول مرة .

- والطواف بالكعبة وهوتحية هذا المسجد تبدأ باستلام الحجر الأسود وتقبيله إذا تيسر لك ذلك متمثلاً الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الاستلام وهذا التقبيل مصطحباً نية العهد مع الله على التزام صراطه المستقيم والقيام بواجبات الإسلام من جهاد وتضحية، ونصرة لدينه فى عزم صادق على الوفاء بالعهد وإتمام البيع واستشعاره خطورة النكث فى العهد وما يترتب عليه من غضب الله وعذابه، وفى إتمام هذا العهد بهذه الصورة زاد على طريق الدعوة .

- الطواف حول البيت صلاة فى صورة خطوات ودورات ودعوات فأده كأدائك للصلاة فى خشوع وحضور قلب وأدب ورفق بإخوانك أثناء الطواف واستشعر اطلاع الله عليك وأنت تؤدى هذه العباد حول بيته الحرام، واعلم أن قلبك هو موضع نظر الله إليك فأخله من كل شىء إلا الله وحب الله، الإخلاص لله حينئذ تسمو الروح وكأنها هى التى تطوف حول البيت وليست الأقدام، ولتكثر من ذكر الله والدعاء لك وإخوانك ولدعوتك .

- وعند الملتمزم بعد الطواف استشعر التصاقك بالبيت الرغبة الشديدة فى القرب من الله وبتعلقك بأستار الكعبة، استشعر الفقر والحاجة الى الله والى مغفرته ورضوانه، وبوقوفك على أعتاب الكعبة استشعر وقوف العبد الفقير على باب الغنى الكريم، وليطلع الله منك على صدق الإقبال عليه والإخلاص له والخوف منه والرجاء فيه والندم والتوبة النصوح والشعور أن لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه مع الشعور بالحب والخضوع ولذة القرب والطاعة وفى هذا مزيج من المشاعر الطيبة السامية، أكثر الدعاء واسكب العبرات وجدد العزم والعهد مع الله وكأنك لا تريد أن تترك أعتاب بابه إلا لتتيح الفرصة لغيرك من ضيوف الرحمن .

- وعند مقام إبراهيم صلى ركعتين وتذكر الصلة الروحية الممتدة عبر الأجيال بيننا وبين سيدنا إبراهيم عليه السلام واستجابة الله لدعواته بأن بعث فينا محمداً صلى الله عليه وسلم رحم للعالمين .

- وماء زمزم ليس كغيره من الماء فقد خصه الله كذلك بخير كثير ولنتذكر عند شربنا منه السيدة هاجر أم إسماعيل وكم قاسا من العطش قبل ظهور زمزم، فلنروض أنفسنا على تحمل المشاق في سبيل الله في ميادين الجهاد
- والسعى بين الصفا والمروة أيضاً من شعائر الحج والعمرة ، فهو عبادة وليس مجرد سير هذه الأشواط وإذا صاحبها شعور بالتعب والمشقة فلنتذكر السيدة هاجر وسعيها بين الصفا والمروة بحثاً عن الماء لوليدها الذى أشرف على الهلاك فما أجدنا أن نتحمل المشاق السفر والجهاد في سبيل الله تعبداً وتقرباً الى الله زكاة لصحتنا وشغلاً لأبداننا بطاعة الله .
- في أيام إقامتك بمكة وفي رحاب البيت الحرام ما أروع وأجمل أن تنتهز الفرصة وتؤدي جميع الصلوات والكعبة المشرفة أمام ناظريك .

وفي هدوء الليل تنتحى جانباً في رحاب الكعبة وتتهجد لله وتتأجج وتختب له وتخشع وتطرق باب الكريم بركعات وسجدة ودعوات ودمعات من خشيته، وفي هذا الجوارباني لا تنس أن تسأل الله أن يعز جنده وينصر دينه ويهزم أعداء الإسلام في كل مكان .

وفي مكة حين تسير في شعابها وبين أرجائها وتزور غار حراء وغار ثور، عش ذكريات أيام الدعوة الأولى وما تعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون الأول، من إعنات وتعذيب وإيذاء بسبب عقيدة التوحيد، وتذكر صبرهم وثباتهم وإصرارهم على تبليغ الدعوة . وتذكر دار الأرقم بن أبي الأرقم التي ربي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الأبطال الذى اندكت على أيديهم كل الضلالات وحصونها من عبدة الأصنام وعبدة النار، والروم واليهود، واستشعر أنك تسير على أرض سار عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- إن في اجتماع الحجاج من كل أقطار العالم فرصة سانحة لتقوية الروابط بين المسلمين وتعارفهم وتعرفهم على أحوال بعضهم البعض، وتبادل المشاعر والآمال والآلام ليكونوا حقاً كالجسد الواحد وكالبنان المرصوص يشد بعضه بعضاً وليتدارسوا أهم القضايا التى يعيشها العالم الإسلامى والأقليات الإسلامية، وكيد الأعداء وكل ما يهم المسلمين وحبذا لو تبادلوا المراسلات بعد الحج لتدوم الصلة وتعرف الأحوال وليتمثل الحجاج شعار وحدة الأمة الإسلامية: {وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون} .
- وعلى عرفات الله هذا الجبل الذى خصه الله دون الجبال بهذا الخير، وهذا الفضل وهذه الفيوضات والرحمات تنزل على ضيوف الرحمن وقد اجتمعوا جميعاً فوق هذا الجبل، فى زى الإحرام المبسط يجأرون الى الله بالدعاء بصورة تذكرهم بيوم الحشر، إنه مشهد عظيم ويوم عظيم، وقد روى مسلم وغيره عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفه وأنه ليذنوعز وجل ثم يباهى بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء ؟) .

ومن الخير الذى أفاضه الله على هذا اليوم أن جعل صيامه لغير الحجاج يكفر سنة قبله وسنة بعده فعن أبى قتادة رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة: (قال: يكفر السنة الماضية والباقية) رواه مسلم .

وعند الإفاضة من عرفات تجيش المشاعر عند وداع هذا الجبل الحبيب وهذا اليوم المبارك وهذا الموقف العظيم وتتعلق القلوب برجاء القبول .

وفى رمى الجمار معنى الاتقياد للأمر وتحقيق العبودية بالامتثال، وإن لم يكن للعقل حظ فى هذا الفعل، ولتذكر تعرض إبليس لسيدنا إبراهيم عليه السلام ليثنيه عن طاعة أمر الله وعدم استجابة الخليل لهذه الوسوسة، فما أجدرك أيها الحاج أن تتجسم أمامك خطورة نزغات الشيطان ووسوسته وضرورة مقاومته وأنت ترمى الجمرات دحراً لهذا الشيطان الرجيم .

- وفى ذبح الهدى وتوزيعه على المحتاجين من المسلمين قربة لله ومرضاة له ورجاء فى أن يعتقك الله من النار، وفى ذلك أيضاً تحقيق معنى العطف على الفقراء وإطعامهم من أفضل الهدى: {والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون} .

- وفى طواف الوداع الإحساس بفراق أعز الأماكن وأحبها الى قلبك وكذلك رجاء فى قبول الله هذا الحج ورجاء فى العودة فيما يقبل من العمر .

- وفى الرحلة الى المدينة تذكر هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم والمسافات التى قطعها وهويطارد واستقبال أهل المدينة وبدنه ببناء المسجد وعش هذه الذكريات العطرة، وما فيها من إنجازات كبيرة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته والغزوات والفتوحات وتطهير الجزيرة من الشرك والأصنام ومن اليهود بعد حنثهم العهود كما هى عادتهم التى قررها القرآن .

- وفى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، تذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رواه البخارى: (ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى) فعش هذه السعادة الروحية التى هى أقرب الى سعادة أهل الجنة برضوان الله - واستشعر الصلة الروحية بينك وبين الرسول الحبيب وأنه حريص علينا وبالمؤمنين رؤوف رحيم عزيز عليه إعتنائنا، سلم عليه وصل عليه وادع الله أن يجازيه عنا خير ماجازى نبياً عن أمته، وكذلك الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وعمر بن الخطاب أمير المؤمنين، وادع الله أن يحشرنا مع هؤلاء النفر الكرام .

- وزر المشاهد فى المدينة والأحداث التى جرت عليها والتى غيرت وجه التاريخ وزر البقيع الذى يطوى أبطالاً أطهاراً وزر أحد هذا الجبل الذى دارت عنده غزوة أحد وتذكر ما فيها من عبر ودروس .

وهكذا عش تلك الفترة من السيرة العطرة بذكرياتها الطيبة التى تمنحك الزاد والعظة والعبرة التى أنت فى أشد الحاجة إليها وأنت تسير على طريق الدعوة .

وفى قيام الليل زاد

{تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفسٌ ما أخفى لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون} .

الصلاة زاد ولكنها فى جوالليل وفى جوف الليل يزداد بها القرب والزاد والعطاء، يحن العاشقون الى الليل، والمتهجدون أشد حنيناً إليه فالذين آمنوا أشد حباً لله، فى ثنایا الليل قيام وركوع وسجود وذكر وتسبيح وقرآن وتوبة واستغفار ومناجاة ودعاء وبكاء من خشية الله وفى كل ذلك زاد: {ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً} .

- الذين يسلكون طريق الدعوة أحوج ما يكونون الى قيام الليل لما يعطيه من زاد، فقد وجه الله رسوله صلى الله عليه وسلم فى الأيام الأولى للدعوة الى قيام الليل ليعده لتحمل أمانات الدعوة الثقيلة فقال تعالى: {يا أيها المزمّل قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أوزد عليه ورتل القرآن ترتيلاً إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً إن ناشئة الليل هى أشد وطناً وأقوم قيلاً} .

- فى قيام الليل مجاهد وتقوية للإرادة والعزيمة ومغالبة للشيطان وترويض للنفس على الخضوع لله، فمن يترك النوم والراحة والفرش والدفء ويقاوم رغبات الجسد ويقوم ويتطهر - وقد يكون الجوبارداً - ويؤثر التعبد لله والتقرب إليه، لاشك فى أن ذلك زاداً وإعداداً له وعوناً على طريق الدعوة .

- القيام بالليل والناس نيام فيه خلوص وتجرد وإخلاص لله وتخلية للقلب من أى أثر للرياء ... والإخلاص من ألزم الصفات للداعى إلى الله وبدونه تحبط الأعمال .

- فى كتاب الله آيات كثيرة تحت على قيام الليل وتبين ما خص به القائمين بالليل من خير فقال: {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً}: {أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً} .

- وللقائمين بالليل أحوال يتقلبون فيها ذكر القرآن بعضها من قيام وسجود وذكر وتسبيح واستغفار ودعاء ففى قوله تعالى: {أمن هوقانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه * قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب}، يذكر من أرقه تفكيره فى الآخرة وما فيها من حساب وجزاء ونعيم وعذاب فصار يعيش الخوف والرجاء فى سجوده وقيامه وفى هذا زاد يعينه على العمل والاستعداد لهذا المصير .

- ذكر الله وتسبيحه فى الليل غذاء للأرواح والقلوب يحرص من تذوقه ألا يحرم منه وفى القرآن آيات تحت عليه: {واذكر ربك بكرة وأصيلاً ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً}: {واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وإدبار السجود} .

- كلنا مذنبون مقصرون، فما أجدرنا أن نطرق باب الله وقت السحر ونسأله المغفرة والرحمة فهو وقت إجابة وقد أثنى الله على المستغفرين بالأسحار فقال تعالى: {للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا إننا آمنّا فأغفر لنا ذنوبنا وقتنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين

والمستغفرين بالأسحار } ، وقوله تعالى: {إن المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون}

- الدعاء فى الليل من أرواح العبادات وأفضلها جنح الظلام يتنزل العبد لمولاه الكريم يسأله ليعطيه: {ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين} ، وعن أبى أمانة قال: (قيل يا رسول الله: أى الدعاء أسمع ؟ قال: جوف الليل الأخير ودبر الصلوات المكتوبات) رواه الترمذى .

وعن جابر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن فى الليلة ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة) رواه مسلم .

- والدعاء أثناء السجود مطلوب فهذه لحظات قرب من الله يلج فيها المسلم بالدعاء فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء) أخرجه مسلم وأبوداود والنسائى .

- ما أجدر أصحاب الدعوات الذين يتعرضون لأذى الأعداء وكيدهم أن يستعينوا عليهم بسهام القدر ودعاء السحر، قم يا أخى بالسحر وادع الله وقل: اللهم إنا ندرأ بك فى نحور الأعداء والجبارين ونعوذ بك من شرورهم، وقل: ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ، وقل: اللهم اهزم أعدائك أعداء الدين وانصرنا عليهم نصراً عزيزاً يشفى صدورنا ويذهب غيظ قلوبنا . وما يفتح الله به عليك من الدعاء .

- وفى حديث رواه البخارى ومالك ومسلم وغيرهم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يقضى ثلث الليل الأخير فيقول: من يدعونى فأستجب له من يسألنى فأعطيه ومن يستغفرنى فأغفر له) فهل بعد هذا الإغراء والتشويق نتراخى ونتكاسل ؟ ولوقيل للناس فى هذا الوقت من الليل من يحضر فى مكان ما سياخذ مالاً أولحماً أو عرضاً من الدنيا لسارعوا وتكاثروا، ورسولنا الحبيب صلوات الله وسلامه عليه يرغبنا فى حديث له عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: (ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فىهما لأتوهما ولو حبواً) متفق عليه، أى ما فىهما من خير .

- إن البيت الذى يحيى الليل بالقيام بيت تحفه الملائكة وتنزل عليه الرحمة وتسوده السعادة الحقة، ما أجمل أن يتعاون كل من الزوج والزوجة فى تحقيق هذا الخير ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح فى وجهها الماء ... رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت فى وجهه الماء) رواه أبوداود بإسناد صحيح .

- تقرب الى الله يا أخى ما استطعت بالنوافل ومن أفضلها قيام الليل مصداقاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل) رواه مسلم . ومما يعينك على قيام الليل إخلاص النية واستحضار العزيمة وتجديد التوبة والبعد بالنهار عن المعصية والتبكير بالنوم والقيام والليلولة إن أمكن والاستعانة بالله .

- على المسلم أن يداوم على قيام الليل وينهل من هذا الزاد فقد روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل) متفق عليه .

- أما عن عدد الركعات فعن عائشة رضى الله عنها قالت: (كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ركعات ويوتر بسجدة ويركع ركعتي الفجر فتلك ثلاث عشرة ركعة) أخرجه الستة وهذا لفظ مسلم .

ما أكثر الزاد فى هذا الدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند القيام من الليل للتهجد، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال: (اللهم ربنا لك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت مالك السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق ولقائك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت) أخرجه الستة وهذا لفظ الشيخين .

- فى رسالة المناجاة للإمام الشهيد حسن البنا يحث الإخوان على قيام الليل: يا أخى لعل أطيّب أوقات المناجاة أن تخلوا بربك والناس نيام والخليون هجّع وقد سكن الكون كله، ورخى الليل سدوله وغابت نجومه، فتستحضر قلبك وتتذكر ربك وتتمثل ضعفك وعظمة مولاك فتأنس بحضرته ويطمئن قلبك بذكره وتفرح بفضله ورحمته وتبكي من خشيته وتشعر بمراقبته وتلج فى الدعاء وتجتهد فى الاستغفار وتفضى بحوائجك لمن لا يعجزه شيء ولا يشغله شيء عن شيء إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، وتسأله لدنياك وآخرتك وجهادك ودعوتك وأمالك وأمانيك ووطنك وعشيرتك ونفسك وأخوتك : {وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم} .

- إن ما فى قيام الليل والمناجاة من الأُنس والراحة النفسية ما لا يشعر بعناء الأجسام وتعب الأقدام وهذا هو الحبيب صلى الله عليه وسلم يقوم الليل ويطلب القيام حتى تتورم قدماه وما يشعر بألم لاستغراقه فى القرب من الله والأُنس به ، وقد قال بعض الصالحين: ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم الآخرة إلا ما يجد أهل القيام فى قلوبهم من حلاوة المناجاة فلنحاول تذوق هذه الحلاوة .

- وأخيراً أقول لك يا أخى قم من الليل قيام العبد الفقير الذليل يتسلل فى جنح الظلام ليطرق باب سيده الكريم، ويقف على أعتاب بابيه فى ذل وانكسار وشعور بالتقصير واعتراف بالذنوب وإحساس بالحاجة الملحة الى عفوسيده ورضاه عنه مع الرجاء الملح فى رحمته ورضوانه وجناته .

اطرق يا أخى باب مولاك فى ظلام الليل بركعات خاشعة وسجودات طويلة ودعوات خالصة وتسبيحات ودمعات من خشيته، وكن موقناً بإجابة ربك لدعواتك، ولا تنس فى هذه الغمرة من الخير دعوتك فتسأل الله النصر والتمكين لدينه وتدعوا لإخوانك بظهر الغيب .

سبحى نفسى وصلى	عند سطو العاديات
فإذا القلب تنزى	من تباريح الحياة
رقرقى النفس دموعاً	واسكبيها فى الصلاة
فإله الكون يصغى	للنفوس الباكيات

وفى الذكر والدعاء زاد

{يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً}

الله غايتنا وهو خالقنا ورازقنا فهل نغفل عن ذكره ؟ وهل هناك من نسعد بذكره أفضل منه سبحانه ؟ إنها سعادة لا تسمو عليها سعادة، إنها قرب من الله وأنس به واطمئنان الى جنبه وانسراح الصدور بنوره وأمن وأمان وتفويض وإسلام الأمر له سبحانه، لا خوف ولا قلق لا حية لا شقاء لا اضطراب: {الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب} .

كلما ذكرت الله كنت مع الله وكان الله معك، كنت مع الغنى القوى القهار الرحمن الرحيم الرزاق من بيده الأمر وهو على كل شيء قدير، فلا تشعر بحاجة الى أى شيء، فماذا فقد من وجد الله ؟ لا شيء وماذا وجد من فقد الله ؟ لا شيء .

كلما ذكرت الله باسم من أسمائه أوصفة من صفاته ترك ذلك أثراً وانطباعاً خاصاً فى النفس والقلب وزاد للروح يسمو بصاحبه ويسمو كلما ازداد ذكره لله، وتعلو منزلته عند الله، أما الغافل عن ذكر الله فيتعرض لوسوسة الشيطان الذى يذكره بالمعاصى والشهوات والآثام وسيىء الأعمال، ويظل يهبط به ويهبط الى أسفل سافلين ويصدق فيه قول الله تعالى: {أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون} .

الله تعالى يقول: {فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون} هل هناك أسمى منزلة ممن يذكره الله تعالى فيكون فى حفظه ورعايته ورحمته وفضله، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بى وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملة ذكرته فى ملة خير منهم) متفق عليه .

إننا بذكر الله نخلص أنفسنا من هذه الأجواء العفنة والفتن المتزاحمة ونظهر قلوبنا ونفر الى الله ونخلص إليه: {ففرخوا الى الله إني لكم منه نذير مبين} وكلما ذكرنا الله خنس الشيطان بوسوسته وانصرف عنا وتطهرنا من رجسه .

عندما نعيش بقلوبنا كل صفة من أواسم من أسمائه نذكره به يزداد إيماننا به وتعظيمنا له سبحانه وفى هذا خير زاد لنا على الطريق .

وهذه الرحمة التي تتغشانا والسكينة التي تنتزل علينا عندما نجلس لذكر الله كلها خير وزاد كبير، ففي الحدي الذي يرويه مسلم: (لايقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده) هذا وإن الله سبحانه يباهى ملائكته بمجالس الذكر هذه .

وفي ذكرنا لله تعالى ما يدفعنا الى التحلى بالصفات التي يحل لنا أن نتصف بها لا تلك التي لا يحل لنا أن ننازعه إياها فكلما ذكرنا الله الرحمن البر الرحيم الحليم الكريم الصبور الشكور العفو الغفور وجدنا أنفسنا لابد لننال رحمة الله أن نرحم من فى الأرض، ولكى نحظى بجود الله وكرمه يلزم أن نكون كذلك مع خلق الله المحتاجين ولكى يشملنا عفو الله يجب أن نعفو عن يسيىء إلينا وهكذا وفى ذلك زاد كبير .

ولما فى الذكر من خير يدعونا الله الى ذكره فى أحوالنا وأوقاتنا حتى لانحرم هذا الخير وهذه المعية فيقول تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً * هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيماً} ويقول تعالى: {الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات وارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانهك ففتنا عذاب النار} أى كرم من الله وفضل أن يسمح لنا بذكره فى كل أحوالنا حتى ونحن على جنوبنا سبحانهك ربى ما أكرمك .

احرص يا أخى أن يكون لسانك رطباً بذكر الله فتذكر الله عند طعامك وشرابك ولباسك ونومك ويقظتك وفى طريقك الى العمل وفى عملك وفى كل أحوالك ولا تسمح أن تمر بك لحظات سهو أو لهو أو لغو.... فما لم تكن مشغولاً بعمل أو عبادة فاشغل نفسك بذكر الله فتستكثر من الحسنات وتحظى بالطمأنينة ومعية الله ويحيط الله عنك السيئات ما شاء .

واعلم يا أخى أن الذكر المقصود ذكر القلب قبل اللسان، فإذا ذكر العبد ربه بقلبه انعكس ذلك على جوارحه فإذا باللسان يذكر الله فلا ينطق إلا خيراً والعين تذكر الله فلا تنظر الى حرام، والأذن تذكر الله فلا تسمع الى ما يغضب الله، واليد تذكر الله فلا تتحرك الى شر أو إثم، والرجل كذلك بل والعقل لا يفكر فى شىء حرام والقلب لا يخطر به إلا كل خير .

وهكذا بالمفهوم الشامل للذكر نرى أن كل أمر راقبت فيه ربك وتذكرت نظره إليك ورقابته عليك فهو ذكر، فالتوبة ذكر والتفكير من أعلى أنواع الذكر وطلب العلم ذكر وطلب الرزق إذا أحسنت فيه النية ذكر وهكذا .

ومع ذكرنا لله فى كل أحوالنا وأمورنا فإن ذكر الله فى خلوة له أثره وله متعته وحلاوته فى القلب ونوره وانشراحه خاصة إذا صاحب ذلك فيض العين بالدمع من خشية الله، فمن السبعة الذين يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل إلا ظله: (.... رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) .

يشقى الناس فى حياتهم ويتعبون ويبحثون عن السعادة والطمأنينة وينفقون الأموال للحصول على ذلك لعلمهم يجدونها فى وسائلهم المادية ولا يجدونها، فى حين أن هذه السعادة والراحة والطمأنينة تتوافر بكل يسر لمن يذكر الله ويدعوه بإخلاص .

الغافلون والملحدون لا يذكرون الله فإذا أصابتهم شدة أنزلت بهم نازلة ذكروا الله وإذا هم يجأرون إليه بالدعاء أن ينقذهم وينجيهم من هذه الضائقة أو النازلة وإذا كشفها الله عنهم إذا هم يعودون لغفلتهم وإلحادهم، أما المؤمنون فهم يذكرون الله في الرخاء والشدة وفي كل أحوالهم يذكرونه ولا ينسونه .

إن المؤمن إذا ذكر الله وقت عافيته وبسطة المال عنده يشكر الله ويتذكر فضل الله عليه في ذلك فلا يطغى ولا تفتنه الدنيا وحين يذكر الله وقت الشدة والضائقة يذهب الله عنه الضيق ويبدله سكينه وطمأنينة وأنساً وراحة بال .

وبهذه المناسبة أذكر أن أحد الأخوة كانا محبوساً في زنزانة ضيقة حبساً انفرادياً يعنى وحده ومغلق عليه الباب طوال الوقت تقريباً، ولكنه بذكره الله سبحانه وتعالى كان يشعر بأنس وراحة نفسية ولا يحس بأن للزنزانة جدران وباب مغلق وكأنه في الكون الفسيح والحارس الذى خارج الباب مستشعر أن الأخ في ضيق بسبب غلق الباب عليه وكان يغافل الضابط ويفتح باب الزنزانة فتحة صغيرة بعض الوقت ليخفف عن الأخ ولكن الأخ يحكى ويقول أنه حينما كان يفتح الباب يشعر بوحشة ويقل أنسه الذى كان يعيشه مع ذكره الله تعالى .

ومن جميل فضل الله علينا وحسن جزائه للذاكرين ما جاء فى هذا الحديث الشريف يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله عز وجل من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل مما أعطى السائلين) رواه مسلم .

إن التهليل والتحميد والتكبير والتسبيح والاستغفار والحمد والثناء والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك له فضل كبير وثواب عظيم وقد ورد فى ذلك آيات وأحاديث كثيرة وتناولت بعض الصيغ الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أحوجنا الى كسب الحسنات وطرح السيئات بهذا الذكر .

أما عن الدعاء فهو مصدر هام من مصادر الزاد فالدعاء فى ذاته يعنى شعور العبد بفقده الى الله وشعوره بقدرة الله وأن الأمور كلها بيده، وهذا عين العبودية والتسليم لله والإيمان به سبحانه، شعور بالانكسار لله والتضرع والتذلل له سبحانه وشعور بفضله وكرمه وإحسانه وأنه على كل شىء قدير وحياء القلوب بهذه المعانى فى ذاته زاد عظيم .

الدعاء عبادة والإعراض عنه استكبار وجحود ومن تفضل الله علينا أن يدعونا لدعائه ويعدنا بالاستجابة فعن النعمان ابن بشير رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الدعاء هو العبادة ثم قرأ: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾) أخرجه أبوداود، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لم يسأل الله يغضب) رواه الترمذى .

ما أجمل أن يتبادل الأخوة مافى الدعاء من خير بأن يدعو كل لأخيه بظهر الغيب، فعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك بمثل) أخرجه مسلم .

ومن قول أحد الصالحين ادع بلسان لم تعصه به، سئل كيف ؟ قال: تسأل أخاك أن يدعو الله لك . وفى ذلك تقوية لروابط الحب والأخوة فى الله .

وللدعاء أوقات يرجى فيها الإجابة وردت في أحاديث نبوية يمكن الرجوع إليها ومن هذه الأوقات ليلة القدر وبين الأذان والإقامة وفي السجود وفي السفر وتحت المطر ووقت السحر وعند النداء والصف وعند المظلمة .

وهناك أدعية في القرآن وأدعية مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا أدعية لبعض الصالحين يمكن الرجوع إليها ففي ذلك خير .

وللذكر والدعاء آداب يجب أن نلتزم بها رجاء الإجابة والاستفادة، ومن هذه الآداب:

حضور القلب والخشية والسكون وحسن الأدب مع الحق تبارك وتعالى واستفتاح الدعاء بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويختم بها .

ومن الآداب أيضاً الهدوء وعدم رفع الصوت بالدعاء أو الذكر، واختيار جوامع الكلم أى الدعوات الجامعة للخير والتكرار ثلاثاً، وأن يكون موقناً بالإجابة ولا يتعجلها ، وألا يدعوا على نفسه ولا على ولده ولا على ماله بسوء ، وأن يبدأ بنفسه إذا دعا لغيره كأن يقول اللهم اهدنا وإياك .

من راعى هذه الآداب في الذكر والدعاء سجد بإذن الله أثر ذلك حلاوة في قلبه ونوراً لروحه وانشراحاً في صدره وفيضاً من الله تعالى .

وعلى المسلم أن ينصرف من مجلس الذكر والدعاء في خشوع وأدب مع اجتناب اللغو واللهو الذى يذهب بفائدة الذكر والدعاء وأثره .

وفى اتباع السنة زاد

السنة المطهرة لها فى القلوب المسلمين منزلتها العظيمة فهى التطبيق الأول والصحيح للإسلام على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى المنهج السليم للحياة كما أراد الله لعباده، وهى الشارحة المبينة لكتاب الله العزيز، وهى المصدر الثانى للتشريع ، ولا يقبل إسلام من أنكرها وجدها، وكما أن القرآن الكريم مصدر زاهر للزاد فكذلك السنة مصدر وافر بالزاد .

وتلزمنا وقفة حول أهمية السنة ومنزلتها قبل الحديث عن الزاد الذى نحصل عليه باتباعنا لها كى يتولد الدافع القوى لهذا الاتباع دون تفريط أو تراخ، خاصة أننا نسمع ونقرأ لأصوات ناشزة تحاول أن تقلل من أهمية السنة أو تشكك فى صحتها .

إن موقفنا من السنة هو الذى يحدد موقفنا من الإسلام نفسه، فإذا قبلنا تعاليم الإسلام كما بسطها القرآن الكريم وكما أوردها الرسول صلى الله عليه وسلم فيجب علينا أن نقبلها تامة غير منقوصة .

وهل لنا أن نتردد فى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والاهتداء بهديه وسنته بعد أمر الله لنا فى قرآنه الكريم: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا} وقوله تعالى: {إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون} ، وقوله تعالى: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى

أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً } وقوله تعالى: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم * قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين} .

وبعد هذا الوضوح فى الآية الكريمة التى تربط حبنا لله وحب الله لنا باتباعنا لسنة رسوله الحبيب صلى الله عليه وسلم ، هل يجوز أن يتردد مسلم صادق فى المسارعة الى اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يجد نفسه مدفوعاً الى تحرى هذه السن فى كل أموره وأحواله لكى يحظى بحب الله وحب رسوله والفوز بسعادة الدنيا والآخرة .

إذا كنا نعتقد أن القرآن الكريم كلام الله، وأم محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله نصبح ملزمين بأن نتبع هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم دون تردد أو تراخ .

إن مافى القرآن والسنة المطهرة من تعاليم من ألزم الأشياء للإنسان ولا يتحقق صلاح أو فلاح إلا بالتزامهما فالله تعالى يقول : {فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى } وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حديثه الشريف: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى) .

إن الذين عاشوا فى صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم رأوا جميعهم فى أقواله وأفعاله أعظم الأهمية لا لأن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم أثرت فيهم فخلبت ألبابهم فقط بل لأنهم كانوا أيضاً على اعتقاد جازم بأن ذلك كان أمراً من الله تعالى لتنظيم حياتهم حتى فى أدق تفاصيلها ، وكانوا شديدي الحرص على ألا يفوتهم شىء من أقواله وأفعاله .

إن رسالتنا فى هذه الحياة هى عبادة الله تعالى وبها ننال رضوان الله والفوز بالجنة والنجاة من النار، ومفهوم العبادة ليس مقصوراً على العبادات كالصلاة والصيام والزكاة والحج فقط ولكنه يشمل حياتنا كلها ، فأكلنا عبادة وشرابنا عبادة ونومنا وعملنا وعلمنا وزواجنا وكل أمور حياتنا عبادة، وكما نتحرى فى صلاتنا وصومنا أحكام صحتها لتكون مقبولة ونلتزم بهدى الرسول صلى الله عليه وسلم فيها كذلك علينا أن نفتدى برسولنا فى كل أمر من هذه الأمور وغيرها حتى تكون عبادة مقبولة .

ترى أصحاب المصانع يلتزمون بالتعليمات المصاحبة للآلات والتى وضعها مصمموا هذه الآلات كى يضمنوا سلامة سير هذه الآلات وعدم تعطلها ، فما دمننا نوقن أن الله هو خالقنا ويعلم كل ما يتصل بنا ، ما ينفعنا وما يضرنا، ما يفسدنا وما يصلحنا، وقد وضع لنا تعاليم فى كتابه وسنة نبيه فكيف نخالفها ونجرى وراء تشريعات بشرية وعادات وتقاليد فى حياتنا مخالفة لهدى رسول الله وسنته ؟ فالنتيجة الحتمية لهذا أن نتعرض للشقاء والحيرة والضلال ونحرم الحياة الطيبة الهانئة والطمأنينة والأمن والسعادة فى الدنيا والآخرة .

إن السن هى المثال الذى أقامه لنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم من أقواله وأعماله فكانت حياته صلى الله عليه وسلم تمثيلاً حياً وتفسيراً لما جاء فى القرآن الكريم، ولا يمكننا أن ننصف القرآن الكريم بأكثر من أن نتبع الذى نزل عليه الوحي وبلغه .

إن اتباعنا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل أمور حياتنا يجعلنا نحيا دائماً فى حال من الوعى الداخلى واليقظة الشديدة وضبط النفس، فيصبح كل شىء نفعه أو نفعه مقدوراً بإرادتنا خاضعاً لمراقبتنا الروحية، نحاسب أنفسنا عليه قبل أن نحاسب يوم القيامة ، وفى هذا زاد كبير .

كما أن لاتباع السنة نفع اجتماعى، فاختلاف الأمزجة والميول فى الأفراد يحمل الناس على عادات مختلفة وبالمراس تتحول هذه العادات الى حوافز بين الأفراد وتثير الخلافات والنزاعات، ولكن الإسلام الحنيف يحمل أفراد البيئة الاجتماعية بطريقة منظمة على أن تكون عاداتهم طباعهم متماثلة مهما كانت أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية متنافرة، فيصير كل مسلم وكأنه لبنة شكلت فى قالب معين يتلاحم ويتلاءم مع إخوانه كأنهم بنيان مرصوص لا اعوجاج ولا نشوز .

إن اتباع المسلمين لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم يغنيهم عن تقليد الغرب فى أمور حياتهم ويشعرهم بتميزهم واستقلال شخصيتهم، وأنهم يستطيعون التطور نحو مستقبل حى فى ثقة بالنفس وعدم شعور بالتبعية لشرق أو لغرب ولكن اتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

إن قضية تقليد التمدن الأجنبى فى حياة المسلمين قضية لها آثارها العميقة والخطيرة، هى نتيجة شعور بالنقص ونتيجة تصور خاطئ بأن المسلمين لا يستطيعون أن يسايروا الرقى الموجود فى بعض بلاد الغربية ما لم يقبلوا القواعد الاجتماعية والاقتصادية التى قبلها الغرب ... فلا يمكن تقليد مدنية ما فى مظاهرها الخارجية من غير التأثير فى الوقت نفسه بروحها . فالمدينة ليست شكلاً أجوف ولكنها نشاط حى وإذا قبلنا شكلها سرت مجاريها الأساسية وموثراتها الفعالة تعمل فينا ثم تخلع على اتجاهنا شكلاً معيناً ولكن ببطء من غير أن نلاحظ ذلك، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت هذا المعنى: (من تشبه بقوم فهو منهم) مسند ابن حنبل وسنن أبى داود .

يتصور البعض أن عادات وتقاليد الغرب فى حياتهم سامية وقريبة من الكمال، وأن عاداتنا وتقاليدنا نحن المسلمين هابطة متخلفة والحقيقة أن المسلمين هم الذين بعدوا فى حياتهم عن سنة نبيهم وتعاليم إسلامهم التى هى أفضل أسلوب للحياة وأرقى مستويات الذوق فى حياة البشر، لأن رسولنا صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ولكنه يستقى من المصدر الإلهى الذى يتصف بالكمال سبحانه ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .

يعترض بعض النقاد من غير الموالين للإسلام عادة ويقولون أليس الإجماع على تقليد حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل حياته افتتاتاً على الحرية الفردية فى الشخصية الإنسانية، وهذا اعتراض باطل، فالحرية الحققة فى التزام منهج الحياة الذى رسمه لنا الله الذى خلقنا وقد طبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه ، امرنا الله أن نقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: { لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً } .

إن أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم تتصل بأمر تعبدي روحية خالصة وأخرى تتصل بقضايا المجتمع وقضايا حياتنا اليومية، والقول بأننا مجبرون على اتباع الأوامر المتعلقة بالنوع الأول، ولكن لسنا مجبرين على أن نتبع الأوامر المتعلقة

بالنوع الثانى، إنما هو نظر سطحى وبخس شديد لقدر النور النبوى، فهل هناك أفضل من هذا النموذج الربانى لكى نتبعه فى كل أمور الحياة .

وهؤلاء الذين يشككون فى السنة وفى صحة مصادرها تافهون وواهمون، فإن وعد الله بحفظ كتابه العزيز يمتد ويشمل سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فهى الشارحة والمبينة له: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} فقد قيض الله من الأنمة الفضلاء لجمع الأحاديث وتمحيصها وتصنيفها أمثال الإمامين البخارى ومسلم وغيرهما، وقد قاموا بكل ما فى طاقة البشر عند عرض كل حديث على قواعد التحديث عرضاً أشد كثيراً من ذلك الذى يلجأ إليه المؤرخون الأوروبيون عادة عند النظر فى مصادر التاريخ القديم ... وقد وضعوا للرواة رجالاً كانوا أم نساءً تراجع خضعت لبحث دقيق يقوم على قواعد غاية فى الدقة ، فإذا لم تقم حجة معقولة أى علمية على الشك فى المصدر نفسه أوفى أحد رواته المتأخرين، وإذا لم يكن ثمة خبر آخر يناقضه كان حتماً علينا حينئذ أن نقبل الحديث على أنه صحيح، وليس ثمة مبرر مطلقاً من الناحية العلمية أن يجرح أحد صحة مصدر تاريخى ما ما لم يكن باستطاعته أن يبرهن على أن هذا المصدر منقوص .

بعد كل ما تقدم على كل مسلم أن يعتز بدينه وبسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولا يقف موقف الذى يدفع التهم عن دينه وسنة نبيه ولكن موقف الواثق من أنه على الدين الحق وأن سنة رسولنا هى أفضل منهج للحياة .

وفى الجهاد فى سبيل الله زاد

الجهاد فريضة ماضية الى يوم القيامة، فقد قال الله تعالى: {كتب عليكم القتال وهو كره لكم}، كما قال تعالى: {كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون}، وهو ذروة سنام الأمر . إذ لابد للحق من قوة تحميه وصدق الله العظيم: {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز} والآيات والأحاديث الخاصة بالجهاد كثيرة .

والمجاهد يحتاج الى زاد من الإيمان وتقوى الله تعينه فى كل مراحل الجهاد، زاد يدفعه الى المسارعة فى الاستجابة الى داعى الجهاد دون تردد فلا يثاقل الى الأرض وزاد يعينه على الثبات والإقدام عند الزحف ومجادة الأعداء دون تفكير فى أن يوليهم دبره، وزاد تخلص به نيته من كل شائبة أو أغراض دنيوية كى يفوز بالشهادة الصادقة فتكون نيته أن تكون كلمة الله هى العليا .

ومع ذلك فالجهاد فى سبيل الله أيضاً مصدر للزاد، فالمسلم حينما يعيش فى جوالجهاد التهيو والإعداد له يرتفع ويسمو عن دنيا الأرض ومطالب الجسد والشهوات ومغريات الدنيا وتسموره وحه ويشرب بعنقه يتنسم ريح الجنة وما فيها من نعيم، وفى هذا السمو والترقى والتخلص من جواذب الأرض زاد أى زاد .

المجاهد يقدم على الجهاد لتحقيق النصر والتمكين لدين الله لتسعد البشرية كلها بما يحققه هذا الدين لها من كل أسباب الخير وليجنبها شرور الشرك والضلال ... وهذه الاهتمامات الكبيرة تجعل من صاحبها شخصية لها شأنها ودورها بالمقارنة بأولئك الذين يشغلون أنفسهم ومطالب أجسادهم ولا يفكرون إلا في سفاف الأمور وفي ذلك ارتقاء وبناء لشخصية المسلم .

الذى يقدم على الجهاد يطمع في رضوان الله والفوز بالنصر أو الشهادة ولا يعقل لمن كان هذا هو حاله أن يبقى في قلبه بغض أو حقد لإخوانه المسلمين ولا يفكر في أن يرتكب إثماً أو يؤذى أحداً أو يغتصب حقوق غيره أو أى شئ يغضب الله تعالى، كيف ذلك وهو على موعد في ساحة القتال والاستشهاد في سبيل الله، وفي هذا التطهر والمجاهدة زاد ينفع ويسمويه، ولولم يفز بالشهادة في عاجل أمره .

الذى يقدم على الجهاد في سبيل الله يقاوم نزغات الشيطان الذى يريد أن يقعه ويثبط همته حيث يزين له الراحة والدعة والزوج والأولاد وما قد يتعرضون له من متاعب ومن يخلفه فيهم بعده الى غير ذلك من وساوس الشيطان، وفي هذه المقاومة والمجادة لنزغات الشيطان تقوية للإرادة وحصانة، فإيثار ما عند الله على كل هذه الأغراض الدنيوية والتوكل على الله والاعتماد عليه وأنه صاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال والولد، كل ذلك ترويض للنفس وتقوية للإرادة وبناء للشخصية المسلمة على أساس من التقوى وفي ذلك زاد كبير .

لابد للمجاهد أن يأخذ بأسباب القوة: {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم} والقوة لا تقتصر على قوة السلاح والعتاد ولكنها تشمل أيضاً قوة العقيدة، والإيمان وقوة الوحدة والرابطة وقوة العلم والمال وكل أسباب القوة، وفي تحقيق ذلك زاد للمؤمن، وكما يؤخذ بأسباب القوة عليه أن يتخلص من كل أسباب الضعف أو الشعور به، كضعف الإرادة بالهم والحزن، وضعف الإنتاج بالعجز والكسل، وضعف القلب والمال بالجبن والبخل، وضعف العزة والكرامة بالدين والقهر، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يرشدنا بهذا الدعاء الجامع للتخلص من هذه الأسباب : (اللهم إني أعذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) وفي التخلص من أسباب الضعف زاد .

ما أجدر كل أخ مسلم عقد النية على الجهاد أن يخلو إلى كتاب الله تعالى ويقرؤه ويقف عند الآيات التي تتصل بالجهاد من قريب أو بعيد، فإن التهيؤ النفسى للجهاد سيجعله يتدق هذه الآيات تدوقاً جديداً عميقاً وسيخرج من هذه التلاوة ب زاد كبير وعبر ودروس كلمات يسترشد بها في كل مراحل الجهاد، وسنذكر بعض هذه الآيات على سبيل المثال لنرى كيف يعالج الأمور في دقة ووضوح:

{فياقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً} وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً * الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت

فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً * ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب * قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً.

ثم انظر الى هذه الآيات التى تتناول أخطر اللحظات التى يتعرض لها المؤمن حين يتحدد حاله بين موقفين أحدهما ينال فيه الثواب والأجر العظيم والآخر يتعرض فيه لعذاب الله وغضبه: {يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أراضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل * إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شىء قدير } {يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فنةٍ فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير } .

وفى قصة طالوت والملا من بنى إسرائيل فى سورة البقرة والمراحل التى مروا بها والتصفيات التى تعرضوا لها حتى وصلت تلك الفنة التى صبرت وثبتت ولجأت الى الله تسأله الثبات والنصر، وتحقق لها النصر بإذن الله: {فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فإنه منى إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلاً منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده * قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فنة قليلة غلبت فنة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين * ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين} .

الشعور النفسى الذى يخامر المجاهد حينما يرى انتفاش الباطل واستعلائه وتترسه بأسباب القوة الأرضية وتفوقه فى العدد والعدة وتهديده ووعيده لأهل الحق مما يرهب الناس، أما المؤمنين الذين يعلمون أن النصر من عند الله وأن القوة لله جميعاً فيزيدهم هذا الوعيد إيماناً مصداقاً لقول الله تعالى : {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم * إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين} .

وهكذا فى جوالجهد يزداد الإيمان بخلاف فترات العافية، يعلمنا القرآن أن من أهم أسباب النصر ذكر الله والصبر وعدم الوهن والاستكانة والبعد عن المعاصى وسؤال المغفرة من الذنب وتثبيت الله للمجاهدين: {يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فنة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلمكم تفلحون}: {وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين} فيعلم المجاهدون أن معصيتهم لله أخطر عليهم من عدوهم فيتحرزون من المعاصى أكثر من تحرزهم من عدوهم وفى ذلك زاد كبير .

المجاهد حينما ينوى الجهاد إنما هو فى الحقيقة يعقد مع الله بيعاً ويبرم عقداً بالصفقة التى عرضها الله على عباده المؤمنين تلك الصفقة الرابعة المضمونة: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم أموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم} وليعلم الذى بنوى الجهاد أن لهذه الصفقة شروطاً ومواصفات يلزم تحققها لكى تتم، فالله تعالى قال إن الله اشترى من المؤمنين ولم يقل من المسلمين ، وللمؤمنين صفات ورد ذكرها فى كتاب الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل الآية التالية للآي السابقة تؤكد هذا المعنى وهى: {التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين} .

فعلى كل من استيقظت معانى الإيمان فى نفسه ودفعته للتطوع للجهاد فى سبيل الله أن يراجع نفسه ليطمئن الى مطابقتها لصفات المؤمنين الواردة فى الكتاب والسنة كى يتم البيع وينال الأجر الغالى جنة عرضها السموات والأرض فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وبهذا يكون الجهاد دافعاً قوياً للمؤمن أن يلزم نفسه بصفات المؤمنين وفى هذا زاد كبير .

من ألزم المعانى للمجاهد أن يعلم أن الله غنى عنه وعن جهاده وأنه هو الفقير الى الله المحتاج إليه فلا يبخل بشيء فى سبيل الله أومن على الله بما يقدم فى سبيله: {ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم}، {ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنى عن العالمين} : {هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم} وعندما تمتلك هذه المعانى من نفس المجاهد يتحقق له خير كبير وزاد عظيم .

{قل إن كان آبؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضوها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يحب القوم الفاسقين} .

إن الجهاد فى سبيل الله يحتم على المجاهدين أن يكونوا متحابين متآخين مترابطين وكيف يتصور أن يكون فى قلوبهم ما يشوب هذا الحب ويضعف هذه الصلة القوية والرابطة المتينة وكل منهم معرض أن يلقي الله شهيداً، وإن أى تخل منه عن أخيه قد يسلمه وأخاه الى الأعداء، فلا بد من الحب والثقة والالتحام الشديد: {إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص} وهكذا نرى أن الجهاد يقوى الرابطة بين المسلمين ويدعم معانى الأخوة فى الله التى أدناها سلامة الصدر وأعلىها مرتبة الإيثار ، والسيرة العطرة تحكى لنا صوراً رائعة من هذا الحب والإيثار بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الجهاد يكشف المنافقين وأساليب تثبيطهم للمؤمنين وكيف يتحصن المؤمن منهم ومن توهينهم للصف، وما أروع سورة التوبة فى فضحهم وفضح أساليبهم ولذلك سميت الكاشفة أو الفاضحة مما يلزم المجاهد أن يعاود قراءتها قراءة متأنية ليأخذ العبرة والحصانة وفى ذلك زاد كثير، وعلى سبيل المثال هذه الآيات الكريمة:

{وقالوا لاتنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حراً لوكانوا يفقهون}: {لخرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين} .

إن أعداء المسلمين يتداعون علينا كما تداعى الأكلة الى قصعتها كما حدثنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ولن يمتنع الطعام على آكله ما دام شهياً لينا سهل الابتلاع ولكنهم سيرفضونه حينما يصير علقماً لا يستسيغونه أو شوكة تقف فى حلقهم فيخشون الاقتراب منه ولن يكون ذلك إلا إذا تخلصنا من كل معانى الغثائية والوهن والضعف وآثرنا ما عند الله وجعلنا الشهادة فى سبيل الله أسمى أمنية فى حياتنا حينما يقذف الله فى قلوب أعدائنا الرعب والمهابة منا .

والمجاهد يستفيد من الحرب والقتال دروساً كثيرة كالجندية والسمع والطاعة وكذلك الخروج من حوله وقوته الى حول الله وقوته، وإن كيد الشيطان ضعيف وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وغير ذلك من المعانى التى هى بمثابة قوة وزاد لصاحبها على الطريق، كما أن القتال فى الإسلام له آداب وحدود تتخلله الرحمة رغم قسوة الموقف فلا مثلة ولا سرقة ولا انتهاك للأموال ولا انتهاك للحرمانات وفى حديث بريدة رضى الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر الأمير على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله تعالى ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال اغزوا باسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً) رواه مسلم .

وما أجمل هذه العبارة للإمام الشهيد حسن البنا فى هذا المجال نختم بها حلقتنا هذه: إن الزمان سيتمخض عن كل من الحوادث الجسام وإن الفرص ستسبح للأعمال العظيمة وأن العالم ينتظر دعوتكم دعوة الهداية والفوز والسلام لتخلصه مما هوفيه من آلام، وإن الدور عليكم فى قيادة الأمم وسيادة الشعوب وتلك الأيام نداولها بين الناس وترجون من الله مالا يرجون فاستعدوا واعملوا فقد تعجزون عن العمل غداً .

وفى اتباع السنة زاد

السنة النبوية زاد كلها فهى تحيى قلوب متبعيها وتسمو بهم الى درجات عالية من الإيمان وتقوى الله، وتزود المسلم بكل الخير وتجنبه كل الشر وتبنى شخصية المسلم عقيدياً وعبادياً وخلقياً وبدنياً وفكرياً واجتماعياً بصورة قوية وسامية .

إن السنة تتعهد المسلم بكل رعاية وعناية فى كل مرحلة من مراحل حياته بل قبل مولده وبعد وفاته، فى يقظته ونومه وحركته وسكونه وفى حله وترحاله، فى البيت، فى المسجد، فى الطريق، فى المتجر فى كل مكان يتواجد فيه وفى كل أوقاته وكأنها للمسلم كمحضر مزود بكل ما ينفعه ويقويه وبما يحميه من كل ما يضعفه ويؤذيه، فيتزود بكل مقومات الحياة على أساس من عقيدة الإسلام الذى ارتضاه الله لعباده .

والحياة التى أعنيها لا يقصد بها فقط تلك الحياة التى يشاركنا فيها الحيوانات ولكن أقصد بالدرجة الأولى حياة القلوب بمعرفة الله والإيمان به مصداقاً لقول الله تعالى: {أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها} وقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم} فاتباع السنة استجابة لهذا النداء وتحقق بها حياة القلوب وفى هذا زاد كبير، كما لم تغفل السنة ما فيه حياة الأبدان وسلامة الأجساد . إن رسولنا صلى الله عليه وسلم يحبنا ويحب لنا الخير وحريص علينا ويعز عليه ما يعنتنا وبنا رؤوف رحيم هكذا وصفه الله تعالى: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم} فكيف لا نسارع الى اتباع سنته وكلنا اطمئنان الى أنها منبع نقى فياض بالزاد والخير، ثم إننا نعلم أنه فى أقواله وأفعاله وأمره ونهيه يستمد ذلك من التوجيه الربانى من الله خالق البشر الحكيم الخبير بعباده وبما ينفعهم وما يضرهم: {ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير} فهدى رسولنا صلى الله عليه وسلم من هدى الله الرؤوف الرحيم .

النموذج الكامل:

كأنى برسول الله صلى الله عليه وسلم يمثل النموذج الكامل للحياة التى يريد الله سبحانه لعباده أن يحيوها والتى دعانا للاقتداء فيها بالرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله: {لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً} وفى قوله تعالى: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم} فربط الله حبنا له وحبنا لنا ومغفرته لذنوبنا باتباعنا لرسوله الكريم .

إن رسولنا الحبيب قمة سامقة فى الإيمان والتقوى فاجتهدنا فى الاقتداء به واتباع سنته سعى منا للرقى فى درجات الإيمان والتزود بالتقوى فحينما نعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه دون شعور بالتعب يدفعنا ذلك الى الاقتداء به بقيام بعض الليل فى صلاة ودعاء ومناجاة وذلك خير زاد .

كان صلى الله عليه وسلم موصول القلب بربه لا يغفل لحظة لذا كان يذكره ويذكر نعمه وفضله عليه فى كل أحواله وفى كل أقواله وأفعاله وما يعرض له من خير أضر وما يقع عليه بصره من آيات الله وما يحدث من ظواهر كونية، وهكذا يرى الله فى كل شىء فحينما نقتدى به صلى الله عليه وسلم يعيننا ذلك على دوام اتصال قلوبنا بالله وفى هذا زاد كبير متصل متجدد .

اتباع السنة فى أكلنا وشرابنا ولبسنا وخلعنا ونومنا ويقظتنا وقضاء حاجتنا وتعاملنا مع الغير وفى كل أفعالنا يجعلنا نمارسها فى وعى وذكر لله، وفضله علينا فنتحرى فى كل ذلك ما يرضى الله ونبتعد عما حرم وهذا خير زاد ، ومن لا يتبع السنة فى هذه الأمور يكون فى غفلة ويصير أشبه بالحيوان وهو يمارس حياته دون ذكر الله وفضله عليه، ولو ذكرنا مثلاً واحداً كالدعاء المأثور بعد قضاء الحاجة وفيه حمد لله أن أذهب الأذى، فلو تصورنا ماذا يكون الحال لو احتبس البول أو الغائط لاشك آلام شديدة قد تؤدى الى الموت .

والإحاطة بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيها من خير وزاد هنا فى هذا المجال أمر غير ممكن ولا بد من الرجوع الى كتب السنة التى جمعتها وصنفتها بجهد أئمة فضلاء، ولكن سنحاول هنا أن نضرب أمثلة فقط فى إيجاز واعتراف بالعجز عن تجلية روائع السنة وما فيها من كنوز .

من روائع السنة:

نلاحظ أن السنة النبوية تتعهد المسلم حتى قبل أن يكون جنيناً فى بطن أمه وذلك بالحث على تأسيس الأسرة المسلمة على التقوى من أول يوم باختيار الزوجة ذات الدين، فيتهياً المناخ الإسلامى النظيف الذى سيشب فيه المولود ويتربى ، ثم نجد السنة تذكر بالاستعاذة من الشيطان عند المباشرة الزوجية، وأن يجنب الله الشيطان ما يرزقهم من ذرية، وتوصى السنة بما يحمى الجنين وأمه من كل أذى، وعندما يولد يؤذن للصلاة فى أذنه اليمنى وتقام الصلاة فى الأذن اليسرى، وتوصى السنة بحسن اختيار أسماء الأبناء، وهكذا توالى السنة تعهدها للمسلم فى كل مراحل حياته بصورة لاتسموإليها حصيلة الدراسات والتجارب التى وصلت إليها العقول البشرية فى هذا المجال .

نجد من السنة المربى والمعلم والطبيب والمدرب العسكرى والرائد الموجه فى كل جانب مكن جوانب الحياة فتوصى بالعلم والوقاية الصحية والتمرن على السباحة والرماية وركوب الخيل وتوصى الشباب بالزواج وتحذر من كل ما يهدم الأسرة والمجتمع .

وكما تعهدت السنة المسلم قبل ولادته فإنها تتعهده عند وفاته وبعد وفاته فتوصى بتلقين الميت لا إله إلا الله محمد رسول الله وبعد موته توصى بتغسيله ثم إكرامه بتعجيل دفنه وتنهى عن نبش القبور كما توصى بالدعاء له وعدم النياحة عليه . رسولنا الحبيب جاء رحمة للعالمين وتظهر هذه الرحمة فى وصيته صلى الله عليه وسلم بالنساء والأطفال والخادم والأسير والفقراء والمساكين والضعفاء والمرضى وذوى الحاجة وحتى الحيوانات، وما أعظم الزاد حينما نكتسب صفة الرحمة باتباعنا للسنة .

السنة النبوية تراعى المشاعر بدرجة عالية فنجد صلى الله عليه وسلم إذا تحدث مع إنسان يبدو عليه الاهتمام والإصغاء والإقبال عليه بوجهه ويوضح الكلام والألفاظ ، ونجده إذا أراد أن ينبه الى فعل خطأ يقول (ما بال أقوام يقولون كذا أو يفعلون كذا ..) دون ذكر شخص بعينه وتوصى السنة بعدم تناجى اثنين دون ثالث من أجل أن ذلك يحزنه وغير ذلك كثير .

السنة تدعوالى تقوية الروابط بين الآباء والأمهات والأبناء وذوى القربى والجيران وتحث على التحاب فى الله والتزاور والتهادى والسلام والمصافحة والابتسام فى وجه أخيك وعيادة المريض وإجابة الدعوة وتشميت العاطس واتباع الجنائز وكل ما يقوى الرابطة بين هذه الأخوة والرابطة زاد لازم للمسلم وخاصة على طريق الدعوة .

السنة وبناء الشخصية:

ما أعظم الزاد من السنة لبناء الشخصية المسلمة القوية فى إيمانها والقوية فى عزيمتها وفى إرادتها وفى بنيتها وفى أخلاقها وفى كل صور القوة والعزة وتخلى النفس المسلم من كل صور الضعف من جبن أو بخل أو عجز أو كسل أو تردد أو وسوسة أو طيرة أو تشاؤم وألا يكون المسلم إمعة يقاد ولا يقود ويتأثر ولا يؤثر .

السنة تدعو المسلم الى التخفف من جواذب الأرض والى عدم الانشغال بمتاع الدنيا بل يجعل همه الآخرة ورضوان الله، وما أحوجنا الى هذا المعنى هذه الأيام التى نرى الناس فيها فى دوامة السعى لكسب المال وتحقيق مطالب العيش وهم فى سباق مرير بين ارتفاع الأسعار الحاجات وكسب المال اللازم لها ويصاحب ذلك اختراع وسائل وأشياء حديثة تغرى الناس بشرائها وفيها ترف وإخلاق الى الأرض وكأن الدنيا هى دار النعيم، فالسنة النبوية تحمينا من ذلك وفى هذا زاد .

انظر السنة الرحيمة تتعهد المسلم حتى فى نومه فتوصى بالنوم على وضوء وأن ينام على الشق الأيمن ويقول الدعاء المأثور عند النوم وفيه تذكير بالموت، ثم تلك الأدعية عند الأرق وعندما يرى رؤيا يكرهها وتقلقه، ثم الدعاء عند الاستيقاظ وكأن السنة أم رؤوم ترعى ابنها الوحيد وتهدهده إذا فزع وتهدىء من روعه وتحميه من كل ما يؤذيه صلى الله عليك وسلم ياسيدى يارسول الله وجزاك الله عنا خير الجزاء .

وهكذا نجد الزاد الوفير والخير العميم فى كل سنة سنها لنا رسولنا الكريم وهى بعد ذلك كله تحقق الشخصية المسلمة المتميزة المستقلة لا تلك الشخصية المرقعة التى تقلد وتكسب عادات من هنا وهناك .

وثمة أمر هام نلفت النظر إليه وهو ألا ينقص اهتمامنا بالسنة من اهتمامنا بالفرض وألا نجعل من السنة قضايا كلية نختلف ونتدابر ويفاصل بعضها بعضاً بسبب التمسك بها أو عدم الالتزام بها ، وليفرق كل منا بين إلزامه نفسه بالسنة وبين التزام غيره بها .

فعلينا أن نتواصى بالأخذ بها، وندعوبالحكمة والموعظة الحسنة للتمسك بها دون تجريح أو تفسيق أو تباعد وتفرق . وأذكر فى هذا المجال أن الإمام حسن البنا رحمه الله فى إحدى جولاته للدعوة الى الله وجد أهل قرية مختلفين ومنقسمين الى فريقين يكادان يقتتلان بسبب الخلاف كلى كيفية أداء أذان الصلاة وما يتبعه البعض من الصلاة والسلام على رسول الله بطريقة معينة فقال لهم رحمه الله: لا تؤذنوا وصلوا بدون أذان ، فتعجب القوم وقالوا لانرضى ألا يرتفع صوت الأذان للصلاة بالقرية، فقال لهم : إن الأذان سنة ووحدتكم واجتماع كلمتكم فرض وواجب، فلندع السنة إذا تسببت فى إبطال الواجب فانتبه الجميع الى خطئهم بهذا الخلاف وعدلوا عنه .

فلنأخذ الدروس النافعة والزاد المفيد من السنة ونكون متبعين ولا نكون مبتدعين والله الموفق والمعين .

وفى الدعوة الى الله زاد

الدعوة الى الله واجب على كل مسلم ومسلمة لتحقيق شهادتنا على الناس كما قال الله تعالى: {وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً} هي مهمة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم فهي شرف عظيم ومنزلة سامية وثوابها عند الله عظيم، وهي في نفس الوقت مصدر وافر لزاد التقوى والإيمان .

والشعور بهذا الشرف وهذه المنزلة العالية المتمثلة في قول الله تعالى: {ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين} يدفع الداعى الى أن يكون أهلاً لهذا الشرف وتلك المنزلة، فلا يبدو من أقواله أو أفعاله مالا يليق بجلال هذه المهمة وفي مصاحبة هذا المعنى له زاد دائم ورفيق يقظ .

القضية الأساسية في الدعوة الى الله هي قضية الإيمان أى توحيد الله وعبادته وفي قيام الداعى الى الله بتوصيل هذا المعنى الى الناس وإحياء قلوبهم بمعرفة الله وحثهم على طاعته ما يجعل إيمانه هومتجدداً ونامياً وقلبه متصلاً دائماً بالله وفي هذا زاد كبير .

الداعى الى الله يقضى جزءاً كبيراً من وقته يرتع في رياض الجنة فهذه اللقاءات التى يجتمع فيها بمن يدعوهم الى الله هي مجالس ذكر الله تحفهم فيها الملائكة وتتغشاهم الرحمة وتنزل عليهم السكينة ويذكرهم الله فيمن عنده وهذا في حد ذاته خير كبير وزاد عظيم .

الداعى الى الله يدعو الناس ويذكرهم بكل معانى الخير وفضائل الأعمال وبكل ما من شأنه أن يسموهم ويصلح حالهم ويجنبهم الزلل والشور، وفي هذا تذكير مباشر له فيستفيد هو كما يفيد غيره بخلاف من لا يقوم بواجب الدعوة الى الله فقد يغفل عن كثير من هذه المعانى ويكون في حاجة الى من يذكره .

من يتعرض الى الدعوة الى الله يحرص على أن يكون قدوة صالحة لمن يدعوهم فى كل ما يدعوهم إليه من خير ويخالفهم فيه، ولا ينهاهم عن منكر ويأتيه مستشعراً الخوف من غضب الله وعقابه واضعاً نصب عينيه الآيات الكريمة: {أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنت تتلون الكتاب أفلا تعقلون} ، {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون} {

الداعى الى الله يتخير المعانى الهامة والأساسية المتصلة بدعوة الله ودين الله ويستشهد في حديثه بآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة، ومعلوم ما لكلام الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم من تأثير طيب يجدد الإيمان ويزيده ، خاصة إذا كان الداعى الى الله متفاعلاً بقلبه بما يجرى على لسانه ، وهذا أمر لازم للداعى كى يؤثر فيمن يدعوهم فما خرج من القلب يصل الى القلب، وما خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان ، فيتزود هو كما يعطى غيره زادا .

الداعى الى الله يطوع وقته وجهده وماله وبدنه بأسفاره المتكررة في سبيل الدعوة الى الله، وفي هذا ترويض للنفس وتخليص لها من كل معانى الكسل والبخل والوهن والجبن، يرفع صوته بكلمة الحق ولو كان مرأ غير هياب ... وفي هذا الترويض والتطويع خير كثير في بناء شخصية الداعى الى الله وزاد مطلوب على طريق الدعوة .

الداعى الى الله يتولد عنده الحرص على الاستزادة من العلم والتحصيل والبحث والدراسة والمدارسة لكى يكون عنده رصيد طيب يعينه على العطاء وتقديم الخير للناس ولكى يتمكن من الإجابة عما يوجه إليه من أسئلة وفى السعى لإتماء هذا الرصيد زاد مطلوب على الطريق .

ممارسة الدعوة الى الله تكسب صاحبها صفة التبيين والدقة فى صحة ما يحدث به الناس بحيث لا يكون فى حديثه خطأ أو انحراف أو أى شئ يخالف كتاب الله وسنة رسوله لما يترتب على ذلك من إثم انتشار هذا الخطأ والعمل به وصعوبة حسره بعد ذلك وإصلاح ما يترتب عليه وفى تعود الدقة فى القول وتحرى الصواب خير كثير فى بناء شخصية رجل الدعوة .

وكما يستشعر الداعى الى الله مسنوليته أما الله عن حسن توجيهه من يدعوهم، كذلك يجب عليه أن يشعر بمسئوليته عن أوقاتهم فيلتزم بالحضور فى الموعد ولا يضيع عليهم وقتاً فى الانتظار أو يحدثهم حديثاً قليل الفائدة، وفى تعود ذلك والإلتزام به كسب للداعية فى معنى الحرص على الوقت وحسن استغلاله فالوقت هو الحياة والواجبات أكثر من الأوقات .

الداعى الى الله يعمل لله وابتغاء مرضات الله فلا يطوع هذه الوظيفة السامية لمغرم دنيوى أولحساب أحد مهما كان سلطانه فإنه لوفعل ذلك لحبط عمله واستجلب غضب الله باستخدامه الدعوة الى الله لتضليل الناس ولصار من أخسر الناس الذين يبيعون آخرتهم لدنيا غيرهم .

الداعى الى الله الواجب عليه أن يتبع تعاليم الله فى دعوته إليه والتي اتصف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوته للناس من لين الجانب والرحمة والحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هى أحسن والصبر على أذى من يدعوهم، وهكذا، وصدق الله العظيم: {فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم} {ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى أحسن} {ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا} ، وهذا الشعور من بالإشفاق على الناس بسبب إعراضهم عن دعوة الله : {فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً} وهكذا تتولد هذه الصفات فى نفس الداعى الى الله خلال ممارسته للدعوة وفى هذا كسب كبير وزاد عظيم .

الداعى الى الله لا يجوز أن يعوقه عن أداء مهمته تعب ولا نصب ولا ألم ولا سفر ولا سهر ولا بذل ولا تضحية، لأن ذلك كله من الزاد المؤكد نفعه وفائدته فى سفره الطويل البعيد الى الآخرة، بل إنه سيجد فى تعبهِ راحة وفى ألمهِ لذة وفى بذله ربحاً وفى تضحيته عوضاً مضموناً .

الداعى الى الله يروض نفسه ألا يداخلها الغرور إذا وجد الإقبال المتزايد من المستمعين إليه والى أحاديثه، كما لا يداخلها يأس أو فتور إذا وجد عكس ذلك، ومهما كان حال من يدعوهم سيئاً فقد يخرج من القلة خير أكثر من الكثرة وليعلم أن عليه أن يدعو وليس عليه أن يستجيب الناس فالهدى هدى الله: {وما على الرسول إلا البلاغ} : {إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء} وفى إخلاء النفس من الغرور ومن اليأس زاد كبير .

على الداعى الى الله أن يواصل دعوته الى الله مهما تعرض للأذى بسبب ذلك، هكذا كان رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم يقابل أذى المشركين بالدعاء لهم: (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) ويستمر في دعوته رغم ذلك، وكان الإمام الشهيد حسن البنا يقول للإخوان في هذا المعنى: كونوا مع الناس كالشجر يرمونه بالحجر ويرميهم بالثمر ، وفى ترويض النفس على مقابلة الإساءة بالحسنة زاد كبير وصدق الله العظيم: {ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذوحظ عظيم} .

الداعى الى الله بقدر نجاحه فى مهمته بقدر ما ينال حب من يدعوهم حباً خالصاً لله، وهذا فى ذاته خير ونعمة من الله محروم منها كثير من الناس، ويكفى الداعى أن ينال ممن أحبوه دعوة صالحة بظهر الغيب أنظرة حب فى الله يغفر الله له ولهم بها .
الداعى الى الله يفوز بثواب كبير من الله إذا وفقه الله وجعل حديثه سبباً فى هداية الكثير وتحولهم من الغواية الى الهداية، وفى الحديث الصحيح عن رسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم: (لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) وفى هذا الأجر الكبير زاد وأى زاد .

وعلى الداعى الى الله الصادق أن يعلم أم ما يوفق إليه فى حديثه مع الغير من معان طيبة مؤثرة هى مما يفتح الله عليه وليس براعة أو مقدرة شخصية فلا يتعالى بل يتواضع لله ويتقيه ويشكره ويحسن اللجوء إليه فيزيده الله فتوحاً: {واتقوا الله ويعلمكم الله}: {لئن شكرتم لأزيدنكم} .

الداعى الى الله بتطوافه وأسفاره الى البلاد المختلفة سيزداد دراسة ومعرفة للشعوب الإسلامية وظروفها المحلية وقضايا العالم الإسلامى، وفى هذا زاد لرجل الدعوة على طريق الدعوة كما أنه سيزداد دربة وخبرة فى مخاطبة المستويات المختلفة من مثقفين وأمينين وعمال وفلاحين، وكذا سيتعرض الى أقوام يعيشون الجزئيات دون الكليات، والى آخرين ورثوا انحرافات وبدع وخرافات ومن يعيشون النظرة السطحية دون العمق ومن يعيشون النظرة اللحظية دون النظرة البعيدة والتقدير لعواقب الأمور وهكذا فى التعامل مع هؤلاء وتصحيح أفهامهم ونظراتهم وما يحتاجه من حكمة وخبرة وصبر ... زاد وكسب للداعى الى الله لايصل إليه من لا يمارس الدعوة الى الله مثله .

الداعى الى الله المخلص يتقى الله ويزن الأحداث الجارية وموقف الدين منها بالميزان الإسلامى الصحيح دون نفاق أو مجاملة أو خوف من أحد مهما كان سلطانه فلا يلبس الحق مع الباطل فى أذهان الناس ويميز الله به الخبيث من الطيب ويتعلم الناس منه الموازين الربانية وفى هذا خير كثير لدعوة الله .

وفى الصحبة الصالحة زاد

الأخوة فى الله نعمة كبرى وزاد وافر متجدد على الطريق وقد منّ الله على المؤمنين بهذه النعمة وهويدعوهم الى الوحدة وعدم التفرق فى قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ .

وهى نعمة لا تشتري بالمال أوالأعراض الدنيوية ولكنها تتم بفضل الله وقدرته: ﴿وألّف بين قلوبكم لوأنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألّف بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ .

إن رابطة العقيدة الإسلامية هى أقوى الروابط على الإطلاق .

إن الذين يعيشون فى ظل الحب والأخوة فى الله يحسون بسعادة وراحة نفسية لا يحظى بمثلها من يجتمعون على عرض من أعراض الدنيا فى تجارة أولهوأومتاع دنيوى، وقد تذوق الإخوان هذه السعادة ... لذلك نجد الأخ يشعر بوحشة إذا غاب عن إخوانه وإذا اضطرت الظروف أن يكون بعيداً عنهم ويضرب بعضهم المثل: إن الجوالإخوانى بالنسبة للأخ كالماء بالنسبة للسماك .

ولأهمية الأخوة فى الله على طريق الدعوة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار الذين ضربوا المثل العليا فى الحب والإيثار .

إن المهمة الكبرى التى كان يهيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين للقيام بها وهى التمكين لعقيدة التوحيد وإقامة دولة الإسلام تستلزم قوالتلاحم والترابط بين أفراد هذه الجماعة التى باعت نفسها لله وتعاهدت على نصره شريعته ليكونوا صفّاً متلاحماً كالبنيان المرصوص .

وبعد أن بينا فضل الصحبة الصالحة وأهميتها ... نحاول أن نوضح كيف أنها عون وزاد على الطريق:

- الفرد المسلم لا يسير فى طريق آمن ولكنه يسير فى طريق محفوف بالمكاره والمزالق والعقبات والفتن وشياطين الإنس والجن له بالمرصاد فهوأحوج فى مثل هذه الطريق الى من يأخذ بيده ويرشده ويبصره ويذكره إذا نسى ويعينه إذا ذكر وصدق الله العظيم : ﴿والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ .

- تأتى على الفرد المسلم فرا فتور أوغفلة أونسيان أواستجابة لوسوسة الشيطان فلوكان وحده لتمادى واستمرأ تلك الحالة ولتعرض الى الضياع والهلاك : (إنما يأكل الذنب من الغنم القاصية)، أما إذا كانت له صحبة صالحة فلن يتركوه الى نفسه وشيطانه إذا افتقدوه فى مجالات العمل الصالح سيبحثون عنه ليدعوه ويذكروه ويعاونوه على نفسه وشيطانه وفى ذلك عون وزاد على الطريق .

- إن صاحب الصالح بمجرد رؤيتك له تذكرك بالله وبطاعة الله، أما رفيق السوء فرويته تذكر بالمعاصى والآثام وفعل المنكرات، فشتان بين الفريقين، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم

يصبك منه شيء أصابك من ريحه، ومثل المجلس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك شرره أصابك من دخانه (رواه أبوداود .

- المرء كثير بإخوانه ... يشعر أنه وحده شيء لا يذكر ولكنه نوشأن بارتباطه بإخوانه .

وإذا كان أهل الشر الذين يعتدون على أموال الناس وحرماتهم يتجمعون ليساند بعضهم بعضاً وكثيراً ما ينصبون عليهم رئيساً ويلتزمون بطاعته، فأولى بأهل الحق والعاملين لنصرة دين الله أن يرتبطوا ويتحدوا والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً كما قال رسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم ولا يمكن أن تكون هناك جماعة تنجز أعمالاً وتحقق أهدافاً وليس بين أفرادها رباط محبة وأخوة .

- المؤمن مرآة أخيه ... ما من فرد إلا وفيه عيوب وقصور وكثيراً ما يغفل عنها ولا ينتبه لها ، فهوأحوج ما يكون الى من يبصره ويعينه على إصلاحها والتخلص منها ولا يقدر على ذلك إلا أخ محب مخلص دائم الصلة رقيق المعاملة حكيم فى نصحه وتبصيره، وهذا خير عون وزاد على الطريق ز

- وفى مجال النصيحة يجمل أن نشير الى أى شيء من آدابها وكيف تؤدى بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن امتثالاً لقوله تعالى: {ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسن وجادلهم بالتى هى أحسن}، وكذا قول بعض السلف الصالح: (أد النصيحة على أكمل وجه واقبلها على أى وجه، ومن وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظ أخاه علانية فقد فضحه وشانه) .

- الصحبة الصالحة تضاعف من قدرات الفرد وطاقاته، فحينما يفكر فى أمر فكأنما يفكر بعقول إخوانه جميعاً لأنه يسترشد بآرائهم، وحينما يقوم بعمل فهم جميعاً عون له بطاقتهم ويفيدونه بخبراتهم .

- الصحبة الصالحة تضاعف سعادة الفرد بمشاركته فى مسراته وتخفف عنه متاعبه وآلامه إذا أصابه ضرر أو مصيبة، يعينونه بأموالهم وجهدهم ويذكرونه بالله والصبر على البلاء وعدم الاستسلام للحزن أو الانطواءوفى ذلك عون كثير .

-كأنى بالأخ المسلم على طريق الدعوة لا يتحرك بزاد قلبه وحده ولكن بزاد قلوب إخوانه جميعاً، فكل أخ لا يبخل على إخوانه بما فتح الله عليه من زاد روحى يعين على معرفة الطريق وعلى الطاعة والثبات وتخطى العقبات، وليس فى ذلك زاد فقط بل زاد مضاعف .

- الله سبحانه وتعالى يدعونا الى التعاون على البر والتقوى فيقول: {وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان } وهوتوجيه الى جمع وليس أفراد متفرقين، فالصحبة الصالحة واجبة ولازمة لتحقيق ذلك، ما أجمل الأخوة فى الحى الواحد أو القرية الواحدة حينما يتعاونون فى مجالات الخير والطاعات خاصة تلك التى غفل عنها وقصر فيها كثير من المسلمين كقيام الليل وصلاة الجماعة فى المساجد وخاصة صلاة الفجر والعشاء وحضور موائد القرآن والعلم والذكر وقوافل الدعوة الى الله ومعاونة الفقراء وذوى الحاجة .

- ما أعظم فائدة الصحبة الصالحة وقت الشدائد والمحن حينما يتعرض الفرد المسلم الى ضغوط شديد لتصرفه عن العمل لعدو الله أولتصرفه عن الطريق الصحيح المستقيم مع أمر الله، هنا تظهر أهمية الصحب الصالح التي تحافظ عليه وتعمل على حمايته من التقلت أو القعود أو الانحراف أو التأثير بوعد أو وعيد أعداء الله ومحاولاتهم الشيطاني لتخلي العاملين للإسلام عن مواقعهم في الصف، وقد لمسنا أثر ذلك واضحاً خلال المحن التي مرت بالإخوان وهذا بعض خير وبركة الجماعة والأخوة الصادقة في الله .

- ما أعظم الزاد الذي يحظى به الفرد في الصحبة الصالحة حينما يدعوله إخوانه بظهر الغيب بدعوات صالحات وهي دعوات مستجابة كما أخبرنا الحبيب صلى الله عليه وسلم .

- ما أعظم الزاد يناله الفرد في الصحبة الصالحة المتحابية في الله حيث يفوز بحب الله ومغفرته وحسن مثوبته له بما يتم بينه وبين إخوانه من نظرة حب في الله يتبادلونها ومن مصافحة ومن تبسم في وجوه بعضهم البعض ، ومن تزاور وتجالس بينهم ومن تواصى وتذكير بالحق بينهم، والأحاديث في هذا الباب كثيرة ومنها حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله فمنهم رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه . وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أن رجلاً زار أخ له في قرية فأرصد الله على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه قال: أين تريد ؟ قال: أريد أخ لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال: لا ... غير أنى أحبته في الله، قال فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحبته فيه) رواه مسلم . تربها: أى ترعاها .

وروى مسلم في كتاب الذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم ؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا، قال: آله ما أجلسكم إلا ذلك ؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذلك ، قال: أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله يباهى بكم الملائكة .

- ولأهمية الصحبة الصالحة وما يترتب عليها من خير للإسلام والمسلمين نجد الإسلام وشريعة الإسلام تحافظ عليها وترعاها من كل ما ينال وحدتها وتآلفها وتحرم ما من شأنه أن ينال منها ويوقع الشحناء والبغضاء بين المسلمين كالغش والخيانة وبيع الغرر والربا والخمر والميسر وغير ذلك كالتحاسد والتباغض والسخرية وسوء الظن والتجسس والتقاطع والتدابير، وهذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رواه أنس رضى الله عنه: (لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث) رواه الشيخان .

والله سبحانه وتعالى يرسم لنا في سورة الحجرات مع ما سبق كيف يزال الخلاف بين المؤمنين إذا حدث من أقرب الطرق ، وواجب المؤمنين بالتدخل للصالح بين المتخاصمين من المؤمنين: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما...}، {إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلمكم ترحمون} .

وبقدر ما تحقق الأخوة والصحبة الصالحة من وحدة وقوة وخير للإسلام والمسلمين بقدر ما تحقق الفرقة والخلاف من فشل وضعف وضرر والله تعالى يقول: {ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين} .

- الشيطان وأعداء الله يغيظهم وحدة المسلمين وعاونهم ويبدلون الجهد فى إيجاد الفرقة، فما أحوجنا الى الانتباه الى ذلك وعدم إعطاء الفرصة لتحقيق ذلك، فلا نغضب لأنفسنا ولا نقول ما يسىء لإخواننا استجابة لتوحيد الله لنا: {وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً} - ما أسعدنا بنعمة الإسلام وبنعمة الأخوة فى الله وما أجدرنا بالمحافظة على هذه النعم بكل ما نستطيع وما نملك من وسائل .
فعليك يا أخى بالصحبة الصالحة فهى عون وزاد لك على الطريق .

وفى العمل الصالح زاد

الإيمان والعمل الصالح متلازمان، فاعمل الصالح مصدق للإيمان والإيمان لازم لقبول العمل الصالح .
وقد تكرر ذكرهما متجاوران فى كثير من آيات القرآن الكريم وهكذا نجد الإيمان يدفع الى العمل الصالح والعمل الصالح يؤكد الإيمان ويدعمه ويقويه، وهوايضاً مصدر للتزود بالتقوى والإيمان على الطريق، فهو مجال الممارسة والتطبيق وترويض النفس ومجاهدتها وتطويعها لتكون عند مرضاة الله سبحانه وفى هذا عون وزاد على الطريق .
- إن تحقيق الإيمان والعمل الصالح وتحقيقهما فى الفرد والجماعة يترتب عليه خير عظيم وفوز كبير كما قرر كتاب الله النجاة من الخسران مصداقاً لقوله تعالى: {والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر} و المغفرة والأجر العظيم: {وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا} وقبول التوبة وإبدال السيئات حسنات: {إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيمًا} وتحقق الفلاح: {فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفّلحين} ، ودخول الجنة: {ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً} والتمكين والاستخلاف فى الأرض: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى شيئاً} .

- العمل الصالح مجال تطبيق العلم الذى نقرؤه ونسمعه فيكون بذلك حجة لنا لا علينا ، وفى العمل تثبيت للعلم وخروج من مجال النظريات والخيال الى واقع الحياة وميادين المجاهدة والجهاد وفى هذا ارتقاء بالنفس وبناء للشخصية وتقوية للإرادة وكسب للخبرة والتجربة ، وكما قال الإمام البنا رحمه الله أن ميدان القول غير ميدان الخيال، وميدان العمل غير ميدان القول ، وميدان الجهاد غير ميدان العمل وميدان الجهاد الحق غير ميدان الجهاد المخطيء، إننا نرى كثيراً من الناس يسهل عليهم القراءة والعلم ولكن تحويل هذا العلم الى عمل قد يصعب على الكثير .

نوازع الخير ونوازع الشر فى كل إنسان تتدافعان وفى ممارسة العمل الصالح دليل على تغلب نوازع الخير وتقوية لها وإضعاف لنوازع الشر وهذا فى ذاته زاد وخير ومن أمثلة ذلك:

- نقرأ عن فضل الإنفاق في سبيل الله فتتوق أنفسنا الى الإنفاق وعند الممارسة قد تظهر نوازع البخل والشح وحب المال لتحول دون الإنفاق فإذا مارسنا الإنفاق نكون قد قهرنا أنفسنا وروضناها على البذل والعطاء وهذا خير .
- نقرأ عن فضل الجهاد في سبيل الله وقد يظل ذلك نظرياً حتى تتم الممارسة العملية للجهاد فننفر في سبيل الله متغلبين على جوازب الأرض ومطالب الجسد ومتع الدنيا والخوف من الموت وغير ذلك مما يجعل صاحبه يتأقل الى الأرض وفي التغلب على هذه الجوازب نصر على النفس وزاد كبير .
- نقرأ عن الصبر والتحمل والثبات على طريق الدعوة وننتشى بما نقرأه من مواقف لأصحاب الدعوات على طريق الدعوة وعندما نتعرض لذلك عملياً يكون الترويض والصقل وزيادة الإيمان: {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل} {وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين} .
- الدعوات تقوم على العزائم وأولى العزم ولا تقوم على الرخص والمترخصين والقرآن الكريم يحثنا على ذلك : {يا يحيى خذ الكتاب بقوة}، {واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم} فعلى الأخ المسلم أن يأخذ نفسه بذلك في حياته ويجد في العمل الصالح بكل طاقاته ففي ذلك زاد .
- مجال العمل الصالح متسع وليس محدوداً مما يعطى الفرصة الكبيرة لتزود الأخ المسلم في كل ميدان ثم إنه موزع على الأوقات فهناك أعمال صالحة مطلوبة في اليوم والليلة وأخرى أسبوعية وغيرها شهرية وكذلك أعمال سنوية وفي ذلك تجديد واستمرار للزاد على الطريق .
- لايفوتنا أن ننبه الى فرصة العمل الصالح في شهر رمضان المبارك حيث يتضاعف الأجر ويكثر الزاد في هذا الشهر الكريم كما أشارت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- العمل الصالح تركية للنفس وسموبها وتطهير لها من الدنايا والخطايا وتحلية لها بفضائل الأخلاق والصفات وهذا زاد .
- إن الأخ المسلم يقوم بالعمل الصالح لأداء الواجب أولاً ثم للأجر الأخرى ثانياً ثم للإفادة ثالثاً وهو إن عمل فقد أدى الواجب وفاز بثواب الله متى توافرت شروطه وبقيت الإفادة وأمرها الى الله فقد تأتى فرصة لم تكن في حسابه تجعل عمله يأتى بأبرك الثمرات .
- أما الذى يقعد عن العمل الصالح فقد لزمه إثم التقصير وضاع منه أجر الجهاد وحرمت الإفادة قطعاً فأى الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً .
- إن الله يحب معالى الأمور ويكره سفاسفها وبممارستنا العمل الصالح نعيش دائماً معالى الأمور ونعلو على سفاسفها وفي هذا زاد وسمو .
- العمل الصالح يجعل من صاحبه قدوة صالحة للغير وفي ذلك معاونة على نشر الفضيلة في المجتمع بالقدوة العملية وهى أكثر تأثيراً من القول أو الكتابة .

- العمل الصالح يوصل التوجيه الى غير المتعلمين بصورة عملية لا قولية كما يوصله الى الذين لا يقرأون لعدم وجود وقت عندهم للإطلاع .
- لكي يكون العمل الصالح مقبولاً يلزم أن يتوافر معه الإخلاص والالتزام بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوافر هذين الشرطين بممارسة العمل الصالح زاد كبير لصاحبه .
- الأعمال الصالحة هي مجال تنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى والابتعاد عن نواهيه ولم يأمرنا الله إلا بكل خير لنا ولغيرنا ولم ينهنا إلا عن كل شر لنا ولغيرنا، ولكل منا طاقات وإمكانات من وقت وجهد وصحة وفكر ومال ونفس إذا بذلناها في مجال العمل الصالح تحققت حكمة الله من وراء هذه الأوامر وأصبحنا مصدر إسعاد لنا ولل بشرية وهذه منزلة عالية ، أما إذا بذلت هذه الطاقات في غير العمل الصالح كان الفساد والإفساد في الأرض ونعوذ بالله من ذلك ... هذا في الدنيا، أما في الآخرة فالفوز والنعيم للصنف الأول والخسران والعذاب للصنف الثاني وهكذا نرى فضل العمل الصالح .
- الظروف التي تمر بها الدعوة الإسلامية والمسلمون اليوم تحتم النهوض من هذه الكبوة والعمل المتواصل لمجابهة أهل الباطل وأعداء الإسلام الذين يبذلون جهدهم للقضاء على الإسلام والمسلمين ... وهذا يعظم من قدر وأهمية العمل الصالح وخيره وأثره في مجال الدعوة .
- إن نهوض الأمة الإسلامية يتطلب من أبنائها قوة روحية ونفسية هائلة تتمثل كما قال الإمام البنا في عدة أمور ك(إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف، ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر، وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل ، ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره .
- وتحقق هذه الصفات لا يتم إلا من خلال العمل والعمل الجاد .
- العمل الصالح يحقق التغيير المطلوب في النفس وهو مفتاح الخير لهذه الأمة مصداقاً لقول الله تعالى: {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم} فإذا تغلبنا على أنفسنا وألزمناها تعاليم الإسلام استطعنا أن نؤثر في غيرنا حتى نقيم المجتمع المسلم والدولة الإسلامية وإلا ففقد الشيء لا يعطيه .
- الأخ المسلم الذي يحرص على الأعمال الصالحة في حياته وأوقاته يكتسب صفة هامة وهي الحرص على الوقت فلا يضيع جزءاً من وقته إلا في عمل نافع مفيد ويدفعه ذلك الى تنظيم وقته وأعماله وترتيبها حسب أهميتها مستشعراً أن الوقت هو الحياة وأن الواجبات أكثر من الأوقات وفي حسن استغلال الوقت زاد وخير كبير .
- العمل الصالح مجال طيب لكسب الثواب الأخرى وبقدر ما يقدم المسلم من عمل صالح بقدر ما يزداد رصيده من الحسنات فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وما أشد حاجة كل منا يوم القيامة الى ما يرجح كفة حسناته .
- العمل الصالح وفعل الخير يقوم به الأخ المسلم في أى مكان فيظل ذكرى طيبة له ولجماعته في ذلك المكان حتى بعد مغادرته أو بعد وفاته .

- المسلمون يتفاوتون بالنسبة الى إقبالهم على العمل الصالح وفعل الخيرات فمنهم من تتاح له فرصة عمل الخير ويتركها تمر دون أن يعمل ذلك الخير ، ومنهم من يعمل الخير متثاقلاً، ومنهم من يؤديه بهمة واهتمام وأفضل من هؤلاء من لا ينتظرون فرصة عمل الخير حتى تأتيهم ولكنهم يفتشون ويبحثون عنها ويسعون إليها: {أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون}

وهذا ما يجب أن تكون عليه أخی المسلم إذا كنا صادقين في دعوانا وما نتصدى له من مهام وآمال .